العبقري المغمور

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي







العبقريُّ المغمور

محمَّد سعيد الشَّيخ علي الخنيزي





الطبعة الثانية
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

ISBN: 978-614-426-853-7



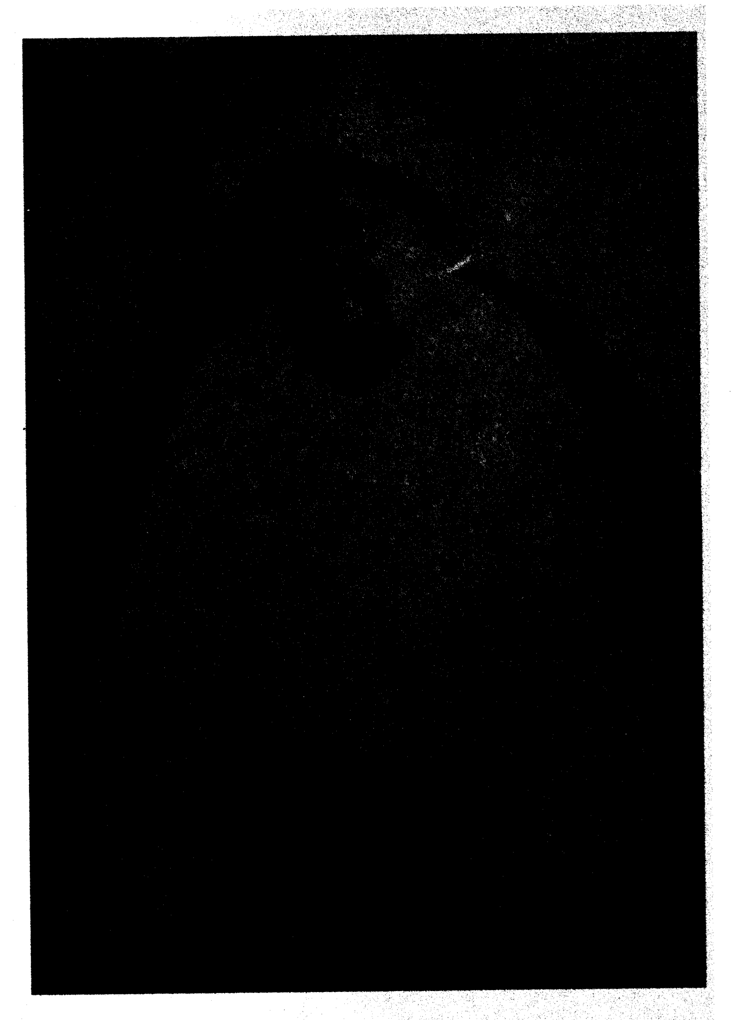
أطياف للنشر والتوزيع
هاتف/ فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦+
القطيف - شارع القدس
ص. ب : ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail:atyaf-pd@hotmail.com



دار روافد
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ت: 71/868980
darrawafed@yahoo.com
التنفيذ الطباعي - دار المحجة البيضاء



صورة المؤلِّف



صورة الإمام الخُنيزيّ

مقدمة

بسم الله كلمة المعتصمين ومقالة المتحرزين وبه نستعين افتتح مقدمة الطبعة الثانية بهذه الأطروحة بشكر لله وبالآية الكريمة ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لم يدر في حسباني أن نعيد طبع هذه الأطروحة، ولكن الله دائماً يمنّ عليّ ويتفضل بنعمه بغير استحقاق، فمن الصدف الجميلة ان يجرني البحث مع العلامة الأستاذ/الشيخ جعفر محمد ملا حسن الربح حتى أخذنا الحديث لمناقشة هذه الاطروحة فقال فضيلة الشيخ أنا مستعد لإعادة طبعها نظراً لنفاذ الطبعة الأولى وهذا الرجل المحسن له دور في هذه المشاريع الخيرة في نشر مؤلفات أبناء وطنه من دورات فقهية وفلسفية وأدبية وعلمية ولا يعجزنا الدليل فقد نشر عدة إصدارات لعلماء ومفكرين على سبيل المثال لا الحصر من الكتب المطبوعة: دروس في تأليف الشيخ المحمدي البامياني سبعة مجلدات، والصحيفة الصادقية تأليف الشيخ أحمد آل طعان مجلد ١٠٣٣صفحة،

وهدي العقول سحب الدعم المصطفى في التحقيق حالياً، تنبيهات الأريب وتذكير اللبيب في إيضاح رجال التهذب تأليف: السيد هاشم البحراني، وغاية المرام في شرح تهذيب الأحكام تأليف السيد نعمة الله الجزائري، وموسوعة الحدائق الناضرة تأليف الشيخ يوسف البحراني، وموسوعة الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع تأليف الشيخ حسن العصفور، والمجموعة الكاملة لإصدارات الإمام الشيخ علي أبو حسن الخنيزي في طريقها للطبع، وهذه المقدمة أردت منها إيضاح العوامل التي دفعت هذا المحسن الذي يعرف كيف يضع الأمانات في طريق الصحيح والأعمال الخيرية التي ترضي الله وخاتم الأنبياء وآله عليه وعليهم السلام، فنسأل الله له التوفيق في الدنيا والآخرة والثواب الجزيل فلا بد للمحسن أن نقول له أحسنت وللمسيء أسأت وأرجو من الله أن يكافأه في الدنيا والآخرة وأن تكون هذه المشاريع خالصه لوجه الله، والله يزيده فوق توفيقه توفيقاً وأن يجعل ما أقوم به من إصدارات لي في هذه الطريق الخيرة خالصاً لوجه الله بتوفيق منه إذ لا حركة ولا سكون إلا بتوفيق من الله، والله ولي التوفيق.

٦ من شعبان ١٤٣٨هـ

٢ مايو ٢٠١٧م

الإهداء

هذه نفْحَةٌ مِنْ شَذاك، وقبْسَةٌ مِنْ ضياءِكَ.. تجسدتا فِيْ قَلْبي وأنَا بُرْعُمٌ لَمْ يتفتَّحُ لضوءِ الشَّمس، واليومُ عادتا حرفاً أخْضَراً فِيْ أطروحَةٍ، أرْفَعُهَا لكَ يَا أبي.. عرفاناً بفضلِك، فهيَ مِنْكَ وإليكَ.

.. ابنُك..

محمَّد سعيد الشَّيْخ علي الخُنَيزيُّ

توضيحٌ

لقد عشتُ على قلقٍ نفسي وفي حيرةٍ واضطرابِ فكرٍ في بحثي عن تسمية أطروحتي هذه وظللتُ أطيل التفكير في البحث لأهتدي إلى اسم يشمل المسمّى أو لعله يرمز له من بعيد أو قريب أو ينطبق على ظل من ظلال هذه الأطروحة، وفي هذه الغمرة الفكرية تردَّد صدى في خاطري يردِّدُ هذا الاسم العبقري المغمور فقلتُ نعم وجدته.. يرمز ويشير إلى هذا الشعب أي (القطيف) الذي تولد من سمائه عباقرةٌ وأدباء ولكن لم تنشر حياتهم وذكرهم على أفق الحياة الفكرية العامة.. فمنهم من تبخر كما تبخر السحاب عند ضوء الشمس ومنهم من تقوقع وسجن في قيود الزمن على صعيد وطنه فانتهى وانتهت حياته إلا قليل منهم وأبي لو لم تصدر له هذه الإصدارات من تراثه هذا التراث الضخم وكسر القمقم وصار كالضوءِ بدون حاجزٍ يحجزهُ وخرج عن وطنه ويعيش على سماء ممتدة على فكر أفق إسلامي واسع لكان نصيبه كنصيبِ

مَنْ قَبلَهُ، ولو لم يكن من شعبٍ مغمور لكان له دور ونشاط وشوط أبعد صدى من هذا الصدى فالشعب المغمور لا تكاد الشعوب التي شقت طريقها إلى فضاء الشهرة أن تحس برجع أصوات ذلك الشعب فيرددونها ويدرسون تلك الأفكار لأنه من شعب مغمور وربما هذا الشعب أنتج عباقرة أضخم وأدق فكراً وتراثاً من ذلك الشعب الذي تحصل على شهرة وعلى ألقاب ضخمة كألقاب الفيل، وبرغم هذه العوامل قد صارَ ذكر أبي أو بعبارة أصح مؤلفاته كالشمس تشعُ بأضوائها في الآفاق يقتبس من ضوئها ويشار لتلك المؤلفات كمراجع لبعض مؤلفات العلماء والمفكرين على صعيد فكر إسلامي موحِّدٍ على مختلف المذاهب الإسلامية، ولا يعجزنا الدليل، فقد روى لي أخي الأستاذ العلامة الشيخ/ عبد الحميد الخطي عن الأستاذ الشيخ/ حسن الصفار عندما التقى هذا الأخير بالعلامة الأستاذ السيد مرتضى العسكري سأل الأستاذ الصفار العلامة الأستاذ مرتضى العسكري أيما أفضل وأنفع الدعوى الإسلامية إلى وحدة أهل السنة مع الإمامية تأليف الإمام الخنيزي أو المراجعات للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين؟ وكان جواب العلامة العسكري الدعوى الإسلامية أفضل من المراجعات إلا أن مؤلفها من شعب مغمور وهناك عامل جذري هو العامل الوطني القطيفي الذي يقبر شموسه

وهم أحياء ويميت كواكبه وهي في شوط التألق، فلهذين العاملين ضاع التراث القطيفي وتراكم عليه جدار التاريخ وضاع في تلافيف الزمن، فالباحث لو أراد أن يؤرخ القرن الثاني عشر أو الثالث عشر لا تظفر يداه ولا تبصر مقلتاه في تلك الزوايا بحصيلة تاريخية تروي ظمأه، إنما يعود بلهفة وحسرة وبكد جهد جهيد مضني وإذا عُنيَّ وكان مترجمه سعيداً ظفر من حياته بتاريخ ميلاده وتاريخ موته فهو في بحثه كالشيخ الضرير أبصر في تلك المنعطفات ظلالاً باهتة لا تغنيه شيء، فلهذه العوامل زاد شعبنا القطيف غموراً على غموره فلو كان أبي من إحدى الشقيقات كالقاهرة أو بيروت أو دمشق أو بغداد لكان رجع صداه موازياً لما ترك من ثروة فكرية، وقد أشرت إلى هذه الظاهرة في أحاديثٍ كثر متلونة الجوانب متعددة الصور ولكني أحس وأبصر بتباشير ولدت في أفق حياتنا الجديدة تبشر بمستقبل وعناية بحث عن مفكري القطيف، فهذا الشباب السعودي والشابات السعوديات قد كتبوا ألواناً من البحوث وإن كانت لم تغطِ كل التغطية المساحة الفكرية والتاريخية إلا أنها تبشر بمستقبل سعيد وفجر جديد وبرغم هذا وذاك مما تكتنف حياتي من ظروف ضبابية تمنعني من الكتابة والبحث إلا بواسطة شخص أملي عليه أو يقرأ لي لِما ألم بعيني من ستار يمنعني القراءة والكتابة

وللعوامل الأسروية والارتباطات الاجتماعية التي تنهب جزءً ضخماً من الوقت والوقت جزءً من العمر لا يتكرر ولا يعود، وبرغم هذه العوامل الجليدية تغلبت بفضل الله عليها وأنتجت ما ساعدني ربي على إنتاجه وله الحمد والثناء والشكر والآلاء وهذا ما أردت توضيحه من هذه التسمية لهذه الأطروحة.

والله ولي التوفيق

٠٩/١٢/١٤٢٣هـ

١٠/٠٢/٢٠٠٣م

فاتحة

الحمد لله رب العالمين.. والصَّلاةُ والسَّلام على سيِّد المرسلين وآلهِ الطيِّبين الطَّاهرين، الَّذين اذهب الله عنْهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً، بسم الله كلمة المعتصمين، وبه نستعين.

لَمْ يكن لهذه الخاطرة ظلٌّ فِيْ آفاقِ نفسِي، أو صدى صوتٍ يهتفُ بي، ويناديني بإلحاحٍ: أنْ أُجسدَ هذه الخاطرةَ فِيْ أطروحةٍ فكريةٍ، أرسمُهَا بلونٍ مِنْ الحروف فِيْ صفحاتٍ قليلةٍ أو كثيرةٍ، لما يتَّصلُ ويكتنفُ بهذه الأطروحةِ، مِنْ مصاعبٍ جمَّةٍ، لأنَّني أُريدُ أنْ أرسمَ حياةً لشخصيةٍ مِنْ شخصيات الأعلام العظام، ويُضاعفُ المصاعب كونهُ أبي وأُستاذيَ الرُّوحي، بل هُوَ أُستاذيَ الأوَّل الَّذي شربتُ مِنْ يدهِ كؤوساً مِنْ منابعِ فكْرِ علْمٍ صافٍ، وعرفانٍ كأنوارِ الصَّباحِ المشرق، وكان دورُهُ فِيْ حياتِي كدور البستاني الَّذي في كُلِّ لحْظةٍ

يُشَذِّبُ حقْلهُ، حتَّى تورِقُ أغْصانُهُ، وتبتسمُ أزهارُهُ، فأنا أقفُ حول هذه الأطروحة موقف المبهوت الحائر، الَّذي يُفتِّشُ لهُ عَنْ طريقٍ ليمرَ مِنْهَا ليدخلَ إلى تِلْكَ الأسرار الرُّوحية، ليقرأ منها ما سمح بهِ ذلك الفكر، ويرسمُ منها ما استطاع الرَّسامُ الماهر أن يغمسَ ريشتهُ في هذه الأسرار، فيلوِّنُها في رسمةٍ واضحة المعالم ليقدمها للأجيال، ولكنَّ مَثَلي حيال أُستاذيَ الأوَّل وأبي كمثلِ حامل المصباح فِيْ رأد الضُّحى، وهل يُجديهِ المصباحُ، والشَّمسُ تخطفُ الأبصار، وتملئ الحياة أضواءً وهَّاجةً.

فأبي لهُ الدورُ الأوَّلَ والأخير في تنشئةِ حياتي، فهو المدرسة الفكرية لي، وبعبارةٍ أدق: الجامعةُ الَّتي تضمُّ جميع كُلياتِها الفكرية، ولهذه العوامل الكأداء تهيبتُ أنْ أقتحمَ هذا السِّياج المصاغَ من أضواءٍ تُعشي العيون، ويرتدُّ الطرفُ حسيراً، ولكن ثُلَّةً من الشَّبابِ المؤمن، وشريحةً من ذوي الفكرِ والفضل من رجالِ العلم ـ طلبوا منِّي ـ أنْ أرسمَ أُطروحةً دراسية عن الإمام الشَّيخ/ علي أبي الحسن الخنيزي، وعقَّبوا حول ما قرأوهُ من خطوطٍ تحدَّثتْ عنْهُ، ورسمَتْ صفحاتٍ من حياةِ هذا الإمام في كتابي «خيوط من الشَّمس»، وقالوا: إنَّ هذه الأحرف لا تفي بهذه الحياة الخصبة، وإن

كنتَ فيها قَدْ صوَّرتَ ملامحاً توضحُ من خطوطِ هذه الحياة، الَّتي هيَ كلها عطاءٌ وخيرٌ، وتوالى عليَّ الإلحاحُ والطَّلبُ، وهم كثْرٌ.. ونذكرُ منهم على سبيل المثال لا الحصر، فضيلة الأُستاذ الشَّيخ/ علي بن حبيب، والشاب الأديب/ السَّيِّد حسين السَّيِّد سعيد طويلب، ونزولاً لهذه الرَّغبة الملحَّة تردَّدتُ كثيراً في تجسيدِها، لما يجلِّلُني من هيْبةٍ تُغمرُ كياني، وتهزّهُ هزّاً عنيفًا حتَّى لأقفَ حائراً مبهوتاً، كيف أبدأُ حياة هذا الإمام؟ ومن أي حرف بابٍ أدخلُ منهُ لأرسمَ معالمَ شخصية الإمام الخنيزي، وما مرَّ بهِ من أحداثٍ ومرَّ بها، وهوَ أوَّلُ من وضع لُبنتي الحركة العلمية والحركة الأدبية في هيكل القطيف، فصارتا فكراً مخضوضراً قد آتت أُكلها، ولا تزالُ سنديانةً تطاولُ السَّماء بعنقِها، فهيَ بأفنانِها وأُكلها حيَّةٌ تتمثَّلُ فكراً منيراً في كتبهِ وطُلاَّبهِ.

فالفكرُ لا يموت.. وإنَّما يموتُ الجسدُ المادي، وسلكتُ فِيْ هذه الأُطروحة أُسلوباً لا يعيدُ المعاني والصور الَّتي رسمتها لمحاتٍ في كتابي (خيوط من الشَّمس)، إنَّما أُحيلُ القارئ على ما كُتب عنْ الإمام الخُنيزي إلى الكتاب المشار إليهِ، وسرتُ فِيْ هذه الأُطروحة على رسماتٍ لَمْ تمر فِيْ كتاب الخيوط، وما أروعَ وأصدقَ كلمةَ الإمام عليٍّ عليه السلام:

هلكَ خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقيت السَّماواتُ والأرض، أجسادهم مفقودةٌ وآثارهم في القلوبِ موجودة) وأُريدُ أنْ أختتمَ هذه الفاتحة بهذا المقطع حتَّى يكونَ (ختامُهُ مسكٌ، وفي ذلك فليتنافسَ المتنافسون).

٠٧/٧/١٤٢٢هـ

٢٤/٩/٢٠٠١م

مدخل

بعد أنْ رسمتُ حروفاً مِنْ ألوانِ خطوطٍ لفاتحةِ هذه الأُطروحة، أحببتُ أنْ أُمهِّدَ للقارئ.... وأُبسِّطَ لهُ أُسلوب دراستي لهذه الشَّخصية (الإمام/ أبي الحسن الخُنيزي)، وأوَّلُ مَنْ دوَّن لهذه الشَّخصيَّة «حسب الظن لا القطع من علْمٍ» هوَ العلاَّمة الشَّيخ/ فرج العمران، حيثُ عني بجانبٍ مِنْ حياةِ الإمام/ أبي الحسن الخُنيزي، وجاء بعدهُ الأُستاذ العلاَّمة أخي الشَّيخ/ عبد الله الخُنيزي، حيثُ ترجمَ لأبيهِ في كتاب «ذكرى الإمام الخُنيزي» وجاء من بعدهِ علماءٌ ومفكِّرون كُثْر، نُشيرُ على سبيل المثال لا الحصر إلى بعضٍ منهم، كالعلاَّمة الأميني في كتاب (أعيان الشِّيعة)، وخير الدين الزركلي في كتابهِ الأعلام، والعلامة آغا بزرك في كتابه طبقات علماء الذريعة ونقباء البشر في علماء القرن الرابع عشر كما عني في كتابه المسمى الذريعة بشمولية ذكر بعض مؤلفات الإمام الخنيزي والعلامة الشيخ/محمد جواد مغنية في الجزء الأول

من الدعوة الإسلامية المطبوع في بيروت والعلامة الشيخ سليمان ظاهر في الجزء الثاني من الدعوة الإسلامية المطبوع في مطبعة الاقبال بيروت، والعلامة محمد أبو زهرة المصري الازهري في كتاب الإمام الصادق أشار الى بعض آرائه بأعجاب في كتابه الإمام الصادق عليه السلام المطبوع في بيروت لبنان، كما كتب عنه العلامة عبدالجبار الساعدي كتاب خاص بحياة الإمام الخنيزي أسماه من أعلام مدرسة الفقه الشيعي.

وقَدْ أشرتُ في فاتحةِ هذه الأُطروحة إلى ما أراهُ مِنْ صِعابٍ جمَّةٍ تقفُ فيْ طريقي للعوامل الَّتي أوضحتُها، وبرغم هذه وتلك: كان الدافعُ أقوى مِنْ الحواجز للرَّغبةِ الملحَّة مِنْ بعض الشَّباب المؤمن، والمفكِّرين الصَّالحين المصلحين، كل هذه العوامل دفعتني كما تدفعُ الرِّياحُ السُّفن في سيرها.

لذلك بدأتُ مستعيناً مِنْ الله المددَ والعون، غير أنَّ هذه الأُطروحة في أُسلوبِها ومنعطفِها تختلفُ كلِ الاختلاف عَنْ الَّذين كتبوا عَنْ حياةِ هذا الإمام والزَّعيم، فهي لا تتصلُ بتلك الدراسات إلا بقناةٍ واحدة (قناة التَّاريخ)، فهي تمرُّ بهذه القناة لما فيها من خطوطٍ ورسمات، تُعطي ألواناً لهذه الأُطروحة.. حتَّى تكتمل الصُّورة في إطارها الضوئي.

فالباحثُ عليهِ أنْ يُبرزَ الشَّخصيَّة الَّتي يُريدُ أنْ يعدَّ عنها دراستَهُ في مظْهَرٍ يلمسهُ القارئُ، ويصلُ في تلك الحروف

الدراسيَّة إلى بعضِ ملامح تلك الشَّخصيَّة، فلكلٍّ عبقري أُسلوبٌ يدلُّ على شخصيتهِ، فهل يصحُّ لنا أنْ نقولَ الشَّخصيَّةُ هيَ الأُسلوب، والأُسلوبُ هوَ الشَّخصيَّة ...؟!

وقبلَ أنْ أفتحَ باب التَّاريخ لندخل منهُ إلى حياةِ الإمام الخُنيزي.. أودُّ أنْ أعطي لمحةً تُجسِّدُ شخصيَّة الإمام، فهوَ شخصيَّةٌ بسيطةٌ غيرُ معقَّدةٍ في أُسلوبِها.. بل هيَ تعيشُ على عفوية الطَّبيعة بكلِّ معانيها، أسلوبُ شخصيَّةٍ لا تحجر فيها ولا انغلاق، بل آفاقٌ منفتحةُ الصَّدر والقلب لبني الإنسان، لا طائفية.. ولا إقليمية.. ولا عنصرية.. ولا عصبية، شخصيَّةٌ في أسلوبٍ للجميع، تتدفَّقُ أخلاقاً كنسائم الفجر، وبسمات الزهر.. فعطرُها يستافهُ كلٌّ مَنْ وصل إلى سياجِ تلك الدوحة المثمرة.

فالإمامُ الخُنيزي: أسلوبُ شخصيَّةٍ منفردةٍ في ملامحِها ومزاياها، وفي عطاءها المخضوضر (كعطاء الربيع الطلق) أُسلوبُ فكرٍ في شخصيَّةٍ علميَّةٍ.. تزرعُ بذورها الفكريَّة في كلِّ قلْبٍ شابٍ.. وكهلٍ.. وشيخٍ، كأنَّك تبصرهُ وهوَ في صدرِ ذلك النَّادي حركةً علميَّةً، لا تعرفُ التفتير ولا السُّكون، ولا يفرُّ الوقتُ مِنْ يديهِ ضياعاً، ولا يكونُ فراغاً غير مملوءٍ بنشاطٍ مِنْ نشاط الفكر أو الإرشاد أو الإصلاح أو التأليف أو القضاء، الَّذي هوَ أخطرُ منصبٍ في هذه الحياة، فأوقاتُهُ مقسَّمةٌ على

منهجيَّةٍ دقيقةٍ، وسيرٍ فني تبدأُ مراحلهُ بعد استيقاظهِ مع أذان الفجر، وتأديتهِ أورادهُ من الصَّلوات إذا كان الوقتُ صائفاً.. حيثُ تضعُ له الخادمُ ماءً في قُلَّتينِ على أطرافِ السَّارية[1]، وفي ذلك الظرف المغرق بالجزر الاقتصادي، والانكماش المالي.. كَان أبي يملكُ ثلاَّجةً لا تنتجُ الثَّلج، إنَّما هيَ وعاءٌ تحفظُ مَا استودع فيها مِنْ مَاءٍ أو ثلْجٍ، حيثُ ابتاعها مِنْ مدينة البحرين بثلاث روبيات، وهذه تمثِّلُ مبلغًا ضخماً يُبهِظُ الكواهل فِيْ ذلك الظرف، وقد ابتاعها الأُستاذ/ السَّيِّد علي السَّيِّد بَاقر العوَّامي[2] بعد وفاة أبي منْ تركته بمبلغٍ قدره: أربعون ريالاً سعودياً.

ولهذا المركز الخلقي والاجتماعي لم تقتصر حب هذه الشخصية على أبناء وطنه بل كان حبٌ أو عشقٌ لكبار الموظفين الذين يؤتون من خارج المنطقة الشرقية كالمنطقة الغربية والوسطى فعندما يأتون لمراكزهم الوظيفية يتصلون به في زيارات متكررة في بيته ولا يملون الحديث معه والجلوس حتى يبلغ بعضهم في الاحترام له لا يدخنون أمامه ككاتب العدل أحمد أبي النصر وإذا نقلوا من مراكزهم من منطقة

---

(١) السارية: هي جدارٌ مسطَّحٌ متصلٍ بسور السطح.

(٢) الذي توفاه الله في يوم الرابع عشر من شهر الحج عام إثنان وعشرون بعدالأربعمائة والألف هجري.

القطيف حينذاك إلى مركز آخر يأتون وكلهم حسرة وأسف على مغادرة هذه المنطقة فكان يخفف من آلامهم بكلمات تعبيرية بليغة مختصرة وهذا نصُها:

الحياة عارية والوظيفة عارية العارية فيهدأ الألم الكامن في عمق نفس ذلك الموظف ويفرخ روعه وتهدأ ثورته، لقَدْ خرجتُ بك يَا قارِئي عَنْ الهدف الَّذي كنتُ أتحدَّثُ إليكَ عَنْهُ، فبعد أن يستيقظ أبي مِنْ نوْمِهِ، ويقضي مَا حلا لهُ مِنْ أورادِ صلواتهِ، يفرغ مَاء القُلَّتين اللتين عَلى السَّارية في هذه الثلاَّجة، حتَّى تحتفظَ ببرودتهما.. إذْ لا كهرباء، ولا ثلْج، ولا ثلاَّجات، ولا وسيلة مِنْ وسائلِ التبريد غير ما أشرتُ لهُ، كما كان هناك أسلوبٌ آخر[1]، فبعدَ أن يقومَ بهذه العملية، وقبل أنْ ترسلَ الشَّمسُ أشعتها الحمراء الصَّافية على رؤوسِ عرائس النَّخيل والأشجار، ومع هبوبِ النَّسمات المعطَّرة ببليلِ أريج الليمون والأترج، وأحلام الحدائق الغنَّاء.. ينزلُ أبي مِنْ بيتهِ الَّذي يقعُ فِيْ مدينة القلعة حاضرةِ القطيف أمسِ - وحيداً - فِيْ

---

(١) الأسلوب الآخر: هوَ يخصُّ بعض الأغنياء الَّذين يمتلكون قُللاً مِنْ البلَّور، يملأونها ماءً ويحكمونها إحْكَاماً فنياً بحيثُ لا يتسرَّب إلى داخلِها الماءُ، ويضعوها فِيْ إناءٍ، يُشَدُّ بِهِ حَبْلٌ فينزلوه إلى قعْرِ البئْر، لأن الآبار تتفاعل مياهُها مع الطَّبيعة، وبعد فترةٍ مِنْ الزَّمن يخرجونها مِنْ البئر عَنْ طريق الحبل المشدود بها، فيجدون الماء أبرد مما كان لديهم، وإنْ كانت البرودة نسبية.

خطواتٍ وئيدةٍ، يحفُّها التَّسبيحُ والتَّكبيرُ لله، ويغمرُهَا الخشوعُ وهوَ متَّجهٌ فِيْ سيرهِ إلى مقْبَرة الحبَّاكة لزيارة الَّذين سبقوهُ إلى دار البقاء، فيقرأ لهم ما تيسَّر من القرآن الكريم، فهذه الزورات على دورةِ الأسبوع، مَا عدا الخميس والاثنين، فيذهبُ فيهما للاستحمام في حمام أبي لوزة.

وقَد أعطيتُ عنهُ لمحةً في كتابي «خيوط من الشَّمس»، وما يدورُ فيهِ من ندواتٍ فكرية وأدبية، وبعد الاستحمام يجعلُ مطافه على مقْبَرة الحبَّاكة، ولكنَّهُ يمتطي آتاناً مع أحد فتيانهِ.. وقد أكونُ معهما، ويقفلُ عائداً إلى بيتهِ، وقَدْ فتحت الشَّمسُ أجْفَانها، وأرسلت قبلاتها على الشَّجرِ والزرع، لتعطيهِ الحياة والدِّفء بأمرِ ربِّها، وفِيْ إحْدَى هذه الزورات في غلس الفجْر: تعرَّض أبي وهُوَ ذاهبٌ إلى مقْبَرةِ الحبَّاكة إلى اعتداءِ كَلْبٍ عقورٍ بمحاذاة نخل النزهة.. الَّتي حوّلت اليوم إلى مخطَّط بيوت، فوقف أبي أمام هذا الكلْب العقور صَامِداً.. إذْ لَيْسَ معهُ مَا يدفعُ بهِ عَنْ نَفْسِهِ، ولكنَّ الكلْبُ انهزم مِنْ بين يديه، ولَمْ يؤثِّر إلاَّ عَلى عباءتهِ الَّتي يرتديها، وعِنْدَمَا سمع أصحاب الكلْب: قتلوه، ولَمْ يثنِ أبي هذا الموقف عن هذه الزورات، بل بقي على استمراريةِ بها، فيعودُ إلى بيتهِ ثم يتناول وجبة الإفطار.. وبعد ذلك يذهبُ فِيْ مشوارهِ التَّعليمي،

حيثُ يرى نفسهُ مسؤولاً عَنْ هذا العبء، الَّذي فرض عليه الواجبُ الدِّيني تبليغهُ، إلى أين يمضي..؟!

يمضي إلى تِلْكَ الأكواخ الَّتي تعيشُ بها طبقةٌ مِنْ الفقراء، بعضهم لا يملكُ حتَّى قوت يومهِ، ومِنْهُم من يملك قوت يومهِ، فيجلسُ في ذلك الوسط البائس ليُشاركهم جشوبة الحياة، ويعلِّمهم النُّصوص الإسلاميَّة، ويفقِّههم فِيْ أمورِ دينهم، ويرشدهم إلى مَا فيه الخير والصَّلاح.. ورضا خالقهم، وقَدْ عايشتُ أبي فِيْ ذهابهِ لهذه الزورات فِيْ تِلْكَ الأكواخ، فلَمْ استطع أنْ أُكمل معهُ تِلْكَ الجلسة، وأنا لا أزالُ فِيْ عالمِ الطفولة.. لَمْ يتجاوز سني التاسعة، لأن ذلك الكوخ يسودهُ الظَّلامُ، حيثُ لا كوَّةَ لهُ تتنسَّمُ الضَّوء أو الهواء، وفراشه مِنْ الحُصر الَّتي تُصْنَعُ مِنْ خوص النخلِ، وتنطبعُ عليها أقدام الجالسين الحفاة، حيثُ أكثرهم لا ينتعلون الحذاء، ولكرمهم الفيّاض يُخصِّصون لأبي مقعداً متميّزاً عَنْ فراش المجلس.. حيثُ يجلس معهم مدة تعلمية طويلة، وفراش المدَّةُ أثْمَنُ مِنْ الحصير، لأنَّها تُصْنَعُ مِنْ أسلٍ تنبتهُ الأرضُ، وتُصنعُ بآلاتٍ بدائية (بأيدٍ قطيفية) ويوضعُ عليها مقْعَداً ومتكأً، ويشعلون النِّيران فِيْ خشبٍ من يبيس الشَّجر وكَرَبٍ وتِلَّة، مما تنتجهُ النخلةُ، فيمتلأُ الجو دخاناً، ولكن تجدُ أبي صابراً لما يحملهُ مِنْ أهدافٍ مقدَّسة، وتعاليمَ إسلاميَّةٍ سامية، ويستعملون هذه

النَّار لطهي القهوة العربية، ويولِّدون مِنْهَا فَحْماً لِشُرب النارجيلة.

وهذه الزورات بطلبٍ مِنْ أصحابِ بعض الأكواخ، فهي مقسَّمةٌ وقد تتكرر هذه الزورات في بعض الأمسيات من أيام الأسبوع كعصر يوم السبت عند السيد شُبَّر الخباز وما يماثله من أشخاص آخرين، وقد تكونُ في بيتٍ متواضعٍ مبنيٍ من الجص والآجر، في أسلوبٍ معماريٍ قديمٍ متهلهلِ الجدر.. تكادُ تهوي أركانهُ مع سُلَّمٍ قديمٍ، لا تستطيع أن تصعدهُ إلاَّ بعسرٍ، وبعد هذه الزوراتً الصباحية يعودُ لبيتهِ ليستقبل الجماهير في ناديهِ ببيتهِ بالقلعة في الطَّابق الأرضي فتراهُ في هذه الندوة حركةً علميَّةً دائبة لا تعرف التفتير، وعطاءً مخضوضراً ينفحُ كلٌّ على طاقةِ فهْمِهِ.

فالعلماء لهم حديثٌ ومقالٌ، والمفكِّرين والأُدباء لهم اتجاهٌ مِنْ آفاق الأدبِ والشِّعْر والتَّاريخ، والعوامُ لهم توجيهٌ وأسئلةٌ بسيطةٌ.. يبسِّطُهَا حتَّى تلج إلى أذهانهم ويعوها، وبعد انتهاءِ هذه النَّدوة يذهبُ للصَّلاةِ في بيت الله بمسجد الراجحية(١) في

---

(١) وأما نسبةُ المسجد للراجحية: حيثُ كان بيتاً لمرأةٍ تسمَّى الراجحية من طائفة الغانم، وقفتهُ مسجداً.. وأوصت أن تُدفن في غرفةٍ من هذا المسجد، وقد رأيتُ قبرها قبل أن تقطع بلدية القطيف هذا المسجد عام خمسة بعد الأربعمائة والألف هجري، واحد يناير عام خمسة وثمانين بعد التسعمائة والألف ميلادي.

القلعة ليؤم المصلين، وبعد أن ينفتل من صلاتهِ، وينتهي من تعقيباتهِ، يستندُ إلى جدار المحراب لمن أراد أن يستمير من مائدتهِ الفكرية، وسوف نُعطي لمحةً عن حياةِ الإمام في هذا المسجد، وكيف أشرقت من سماءهِ أضواءُ الحركة العلميَّة والأدبية في فصولٍ لاحقة.

فيعودُ إلى بيتهِ لتناول وجبة الغداء، والاستجمام والرَّاحة، ولكنَّهُ لا يُضيعُ لحظةً من الوقت، لأنه يُقدرُ الوقت.. ففي ضياعه ضياع العمرِ، وفي فترةِ انتظارهِ لتحضير الغداء، يصفُّ أقدامهُ ويستقبلُ القِبْلَة ليصلي بعض النوافل، حتَّى يؤتى له بالغداء، وشاهدتُهُ مرَّةً من المرات يقرأُ هذا البيت، والدُّموع تترقرقُ في عينيه:

الـخَـطُّ يـبـقـى سـنـيـاً بـعـد كـاتـبـهِ

وصاحبُ الخطِّ تحتَ الأرضِ مدفونُ

فلَمْ أدرك سرّ مَا وراء هذه الدُّموع، ولَمْ أقرأ البواعث الَّتي بعثت هذه الدُّموع من إشاراتِ إنْشَادِ هذه الأحرُف، فتهيَّبتُ أنْ أسْألهُ، وسألتُ والدتي(رحمها الله) المتوفاة

يوم الجمعة الموافق الرابع والعشرين من شهر صفر، عام اثنين وعشرين بعد الأربعمائة والألف هجري، الموافق الثامن عشر من شهر مايو، عام واحد بعد الألفين ميلادي، ففسَّرت

لي ما خفي من سرٍّ هذه الدُّموع، وقالت: إنَّ والدك يحتفظُ لأختهِ بقطْعَةٍ مِنْ القماش ـ خاطتها بيدها ـ وطرَّزتها بإبرتِها، فهي من أُسلوب التَّطريز القديم الرَّائع، يضعها على مصلاَّه، ليلفُّ بها التُربة والسبْحَة، وتُسمَّى باللُّغة الشَّعبيَّة «بُقْشَة» فأهاجتهُ الذِّكرى، فبعثت لهُ طيف أختهِ ماثلاً أمام عينيه، فأبي يحملُ عواطفً رقيقةً، فقَدْ مضى على رحيلِ أختهِ أكثر من جيلين، وذكراها لا تزالُ تعاودهُ كلما نظر إلى تِلْكَ القطْعَة، يتمثَّلها حروفاً تتخلَّلُها روحُ كاتبتها[١]، كما روى لي أنباء هذه القصة والحدث.. أخي العلاَّمة الشَّيخ/ عبد الحميد الخُنيزي الخطي رحمه الله[٢]، ونصَّ على تطريز وعاء التربة (أي البُقْشَة) أنها مِنْ صنع عمتهِ.

فلنعُد لإكمالِ هذه الحلقة، لنكمل مسيرة أبي، فبعد تناولهِ وجبة الغداء يخلو بنفسهِ، ليأخذ قسْطاً مِنْ الرَّاحةِ والنَّوم، وبعد أنْ يستيقظَ مِنْ نومهِ يُلقي عليَّ بحثاً فِيْ كتاب «معالم أصول الفقه»، وبعد انتهاء هذا البحث يتفرَّغُ للكتابة، فيكتبُ فيما يؤلِّفهُ في ذلك الوقت، وبعد ذلك ينزلُ لمجلس القضاء،

(١) قد نعودُ عندما تهيأُ المناسبة للحديث عن العَمَّة/ بيبي حسن الخنيزي.

(٢) المتوفى الرابع عشر من محرم عام اثنان وعشرون بعد الأربعمائة والألف الموافق الثامن من إبريل عام ألفين وواحد.

وإن كانت أوقات ممارستهِ للقضاء.. لَمْ يحدّدها بمكانٍ أو بزمانٍ، ففي المسجدِ أو في أي وقتٍ أو مكانٍ، إنَّما وقتُ المساءِ فيهِ تفرُّغٌ لهذا المنصب المقدَّس أكثرُ من غيرهِ.

وبعد أنْ ينتهي مجلس القضاء، يذهبُ إلى مسجدهِ «الراجحية» لإقامة صلاة الجماعة، وبعد انتهاء الصَّلاة المكتوبة، والنوافل المرتبة والتعقيبات، يستندُ إلى محرابهِ ويستقبلُ الجمهور، ليُلقي عليهم دروساً متنوعةً في الفقْهِ وأصول الفقه، وفي الأدبِ والتَّاريخ، وقواعد اللُّغة العربيَّة، وقَدْ تمتدُ قناتُها إلى ألوانٍ متشعِّبة من العلم والفكر، وهذه الفترة الليلية مساحتُها أوسعُ من الفترة الظهرية (في اتساع الوقت) وفي صفحات الدرس وحضور الجمهور، لأنَّها فترةٌ يتفرَّغُ فيها النَّاسُ، ويتحلَّلون من أعمالهم.. لانعدام العوامل الَّتي تساعدهم على العمل، إذْ لا كهرباء، وبعد هذه الفترة يعودُ أبي إلى بيتهِ، وفي هذا الوقت الَّذي ينتظرُ فيهِ وجبة العشاء، يُلقي علينا دروساً، وبعد العشاء أيضاً، حتَّى ينتهي الوقت المحدد، وتنطوي صفحاتُ هذه الجلسة، بل قُل ينفضُّ نادٍ علميٌ، وفكرٌ منيرٌ، فيدخلُ إلى غرفتهِ الخاصة ليُناجي ربّهُ، فيذهبُ كلٌّ منا إلى غرفتهِ الخاصة.

وقبل أنْ أختتمَ هذه الصَّفحات من هذا الفصل، أُشيرُ إلى هذا المسجد «مسجد الراجحية» الَّذي انبعثت من سماءهِ

الحركة العلميَّة، والأدبية، فأبي أوَّلُ واضعِ لبنتيهما في صرحِ العلمي والأدبي بالقطيف.

وقَدْ أعطيتُ لمحةً عن هذا المسجد، وعَنْ دور الحركتين الفكريتين العلميَّة والأدبية في كتابي (خيوط من الشَّمس)، ولا تستغرب أيُّها القارئ العزيز إذا قُدِّر لكَ أن قرأتَ هذه الأُطروحة، فشاهدتَ سيرها بخلافِ أُسلوب الأُطروحات، الَّتي تؤرِّخُ وتُترجمُ للأشخاص، فهيَ تبدأُ بميلاد الشَّخص ونشأته، وأُطروحتي بدأت بفصلٍ مِنْ حركة حياةِ أبي «مترجمنا» في مسيرةٍ تباينُ سيرةَ التراجم.

صَفحاتٌ مِنْ التَّاريـخْ

لا بُدَّ لنا أنْ نطوفَ بآفاقٍ مِنْ آفاقِ التَّاريخ، وأنْ نلم بعناصرِها.. ولو إلمامةً قصيرة، فالعناصرِ التَّاريخيَّة: هيَ خيرُ مفتاحٍ لكلِّ شخصيَّةٍ أرادَ الباحثُ درسها، إذا كانت الشَّخصيَّةُ عبقريَّةٌ خلقت ذلك التَّاريخ، ولها مميزاتها، فالعبقرية هيَ الَّتي يجيءُ التَّاريخُ قطعةً مِنْ حياتِها، وليست هيَ ساعاتٍ مِنْ أيَّامٍ معدوداتٍ تضيعُ فيْ خضمِّ الزَّمن والتَّاريخ.

فكم شخْصٍ مرَّ بهذه الحياة، ولكنَّهُ مرَّ كما يمرُّ الظّلُّ، فيُنْسَخُ عند زوال الشَّمس، وأمَّا العُظماء.. فهم كالنُّجومِ يُضيئون ليل هذه الدُنا، ويتركون ذوياً بعد رحيلِهم يملأُ سمع الدُّنيا، كما تتداول الأنمل العشر، حينما يضعُها الإنسانُ على أُذنيه، أو يتركون بصماتٍ على عصرهم لا تمحى، تميّزهم عَنْ سواهم.

إنَّ هذا هوَ المجدُ الضَّخمُ، الَّذي يجبُ أن يُعنى بهِ كلُّ باحثٍ ومؤرِّخ،

وتـركـك فـي الـدنـيـا دويـاً كـأنـمـا

تـداوَلُ سـمـعَ الـمـرء أنـمـلـهُ الـعـشـرُ

صدقت يا أبي الطيب في وصفك للمجد.

فالإمام الـخُنيزي قَدْ أنشأ تاريخاً.. خطَّ على حواشيهِ أوَّل حروفٍ للحركة العلميَّة والأدبيَّة فيْ وطنهِ القطيف.

فلابُدَّ لنا قبل أنْ ندخلَ إلى تاريخ ميلادهِ ونشأتهِ وتطوّر حياتهِ، أنْ نعطي لـمْحةً عَنْ عصرهِ الَّذي عاش فيهِ، والأسرة الَّتي تربَّى فيْ جوّها، والبيئة الَّتي درج على صعيدِها، وفتح جفنيه فيْ سماءها.

عصرُهُ

إنَّ عصر الإمام الـخُنيزي.. هوَ كمثلِ عصورِ الآخرين مِنْ العباقرة وغير العباقرة، كلٌّ منهما يمرُّ بهذا الزَّمن الَّذي ولد فيهِ وعـايشـهُ، ولـكـنَّ الـفرق بيـن الـعبـقـري.. وغيـر الـعبـقـري، فـالـعـبـقـريُّ: هـوَ الَّـذي يـزرعُ الـتَّـاريـخ ويـفـرشـهُ بـالـعـطـاء المخضوضّر، ويبقى خالد الذكر بعد رحيلهِ، حتَّى يشاءُ الله، أمَّا غيرُ العبقري: فبمجرد رحيلهِ عَنْ هذه الدُّنيا، ينحلُّ كانحلال الضَّبابِ فيْ موج البحر تحت أشعة الشَّمس، ويُمحى ذكرُهُ بعد أيَّامٍ.

فالإمامُ الـخُنيزي: أحدُ عناصرِ عصرهِ الَّذي جاء فيهِ لهذه الحياة.. عندما وضعهُ ربّهُ على هذا الكوكب، حيثُ كان أحدُ عناصرِ عصرهِ الحكم التركي، وهم يُعرفون بالعُثمانيين، الَّذين حكموا القطيف والأحساء قرابة أربعين عاماً تبدأ مِنْ عام واحد وسبعين بعد الثمانمائة والألف ميلادي، وتنتهي فيْ عام الثالث عشر بعد التسعمائة والألف ميلادي، فأول ما فتَّح

جَفنهُ في ظلٍّ هذا الحكم، فشاهد أيّامهُ الّتي اختلَّ فيها الأمن، وكثُر فيها الفساد، حتّى أصبح الرَّجلُ لا يأمنُ على عرضهِ، ولا نفسهِ، ولا مالهِ، فالأمنُ عنصرٌ مِنْ عناصر الطمأنينة، ونعمةٌ مِنْ نعم الله على عبيدهِ، فالصَّحةُ والأمن.. نعمتان مجهولتان، فلمَّا فُقد هذا العنصر ضعف الحكم التركي، عاش القطيفيون والأحسائيون على جنحِ قلقٍ، كأنَّهم على أرجوحةٍ فيْ كفِّ عاصفٍ أتيٍ، وفيْ رمقِ هذا الحكم الأخير عندما بدأ يتهرأ، وقد شاء الله أنْ يُبيد هذا الحكم في جمادى الأولى، عام واحد وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف هجري، الموافق عام الثالث عشر بعد التسعمائة والألف ميلادي ومن أجل ما كابد أهالي القطيف عدم الطمأنينة والاستقرار من الحكم التركي كان لعلي بن منصور إخوان دورٌ لعبه في إبادة الحكم التركي حيث كان بينه وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود اتصالاتٌ سرية بواسطة أول أمير عُيِّن على منطقة القطيف وهو عبد الرحمن بن سويلم انتهت على أثرها بدخول الملك عبد العزيز القطيف ليبدأ الحكم الجديد الّذي هلَّلت لهُ القطيف في رقصاتٍ شعبية تعرفُ باللغةِ الشعبية (بالعرضات)، يوم دخل المغفور لهُ جلالة الملك/ عبد العزيز آل سعود.. لتنفض القطيف والأحساء عنها أشباح الاضطراب والقلقِ، فتحيا فيْ محيطٍ آمنٍ، وقَدْ روى لي هذه القصة خالي

الحاج/ حسن عن والده عبد الله راشد آل غانم، وقد أعطيت عن هذه القصة تفصيلاً[1] في كتابي (خيوط من الشمس)، فالإمام الخُنيزي عايش العصرين، ومرَّ بأفقيهما.

(١) كتاب: خيوط من الشمس، الجزء الأول، ص٣٣.

بيئتُه

إنَّ الحديث عَنْ عنصر البيئة الَّتي عاش على مهدها الشَّخصُ، وشدَّتهُ تربتُها.. حتَّى امتزجَ بصعيدِها، فهوَ يحنُّ إليها كما يحنُّ الطَّفلُ إلى صدرِ أمهِ، فالبيئةُ تلعبُ دوراً فيْ تنشئة الطَّفلِ، وتنميتهِ العقليَّة والخلقية، فلا تمايز هناك بين بيئةٍ وبيئة، فيْ ارتباطِ المولود الَّذي ينتمي لتلك البيئة، ولا يُفرِّقُ الإنسانُ فيْ حُبهِ للبيئة الَّتي نبت فيْ صعيدِها، كما ينبت الشجر سواء إن كانت صحراء أو واحةً خضراء، فالرِّباطُ المقدَّس هوَ الَّذي يشدُّهُ إليها فحب الوطن من الإيمان والمواطن المخلص يفدّي وطنه بذاته.

فبعد هذه اللَّمحة التَّحليليَّة عَنْ البيئةِ، ندخلُ إلى بيئة الإمام الخُنيزي، الَّتي أوَّل ما لامس جسمهُ صعيدَها، تلك بيئتهُ القطيف.. ذات النَّخيل الباسقة، والثِّمار اليانعة، وصاحبة العيون الثرَّة. إنَّ القطيفَ منذُ فجر التَّاريخ الأوَّل للإنسانيَّة.. كان لها دورٌ خطيرٌ لعبتهُ فيْ ميدان الحياة والتَّاريخ، فلها طابعٌ

رسمتهُ فيْ الحياة الأدبيَّة، أشرق منهُ مفكِّرون وشُعراء، فالشُّعراء الَّذين كانوا أقوى مِنْ التَّاريخ، وتركوا عليهِ بصمات لا تمحى، كطرفة بن العبد صاحب المعلَّقة، وشعراء آخرين شاركوا ورسموا أحداثاً ضخْمَة فيْ هذه البلاد، فكان يهتفُ أحد الشُّعراء ببني عبد القيس:

نصحتُ لعبد القيس يوم قطيفها

فما خير نصحٍ قيل لَمْ يتقبلِ

فقَدْ كان فيْ أهلِ القطيفِ فوارسٌ

حماةٌ إذا مَا الحربُ ألقت بكلكلِ!

وكقول الشَّاعر الآخر:

وتركْنَ (عنترَ) لا يقاتل بعدها

أهلَ (القطيف) قتالَ خيلٍ تنقعُ

* * *

وشاعرٌ آخر يتأوَّهُ على قومهِ.. عندما محضهم الرأي السَّديد ولَمْ يستجيبوا لهُ.. حتَّى فات الأوانُ، وفلتت الفرصة مِنْ أيديهم، عند ذلك تقشَّع الضَّبابُ، وبان لهم الرَّأي المنير.. الَّذي لَمْ يأخذوهُ ويعملوا بهِ على الواقع الملموس:

نصحتهموا نُصحي بمنعرج اللوى

فلَمْ يستبينوا النُّصحَ إلاَّ ضُحى الغدِ

ومَا أنا إلاَّ مِنْ غُزية إنْ غوت غويتُ

وإنْ تُـــرشـــد غُـــزيَّـــةُ أُرشـــدِ

إنَّ فيْ القطيفِ حياةً فكريَّةً خصبةً.. زُرعت فيْ التَّاريخِ، فتفتَّحت زنابقاً ووروداً وعماراً، إلاَّ أنَّ الإهمال التَّاريخي: صيَّر القطيف فيْ موجةٍ مِنْ الضَّياعِ، حتَّى عاشت فيْ محيطٍ مغمورٍ.. تغلَّب بعضُ مفكِّريها وشعرائها وعلمائها على ذلك المحيط المجهول المغمور، فنفضوا عنهم محيطهم الضيق المغمور فانتفضوا، وعاشوا يُشاركون الأحياء، وإنْ كانوا على ندرةٍ.

غير أنَّي أرى بشائراً تلوحُ مِنْ وراءِ كمائم الغيب في أفق القطيف، لتصحِّح مَا أُهمل مِنْ تراثنا الماضي وتاريخنا الوضَّاء، فقَدْ عني ثُلَّةٌ مِنْ مفكِّريها بدراساتٍ تاريخيَّة وأدبية، يُشكروا عليها.. وكثَّر الله أمثالهم في هذا البلد الحبيب.

فلنعُد يَا قارئي للرسمة الَّتي بدأنا خطوطها عَنْ القطيف، القطيف.. هيَ الواحةُ الغنَّاء الَّتي تتَّكأُ غرباً على الرِّمال الذَّهبية، وتغفو شرقاً على ضفاف الخليج، فهيَ واحةٌ خضراء، تمجُ بعطورِ عرائسِ ليمونها وأترجها، وباسقاتِ نخيلها.

ولعلَّ الشَّاعر/ زهير بنُ أبي سُلمى، إذ يلوِّحُ ببيتهِ إلى منبتِ

أصالةِ النخل، فهوَ يُشيرُ إلى القطيف، وهوَ شاعرٌ جاهليٌ لَمْ يدرك الإسلام.. حيثُ يقول:

وهـل يـنـبـت الـخـطّي إلا وشـيـجـه
وتـغـرس إلا فـي مـنـابـتـهـا الـنـخـل

تـبصَّـرْ خـلـيـلـي هـل تـرى من ظـعـائنٍ
كما زال في الصبح إلا شاء الحوامل

* * *

مِنْ هذه المقولة.. وغيرها مِنْ المفكّرين والشُّعراء، الَّذين رسموا أشعارهم في الماضي، أعطوا صورةً للقطيف واضحة المعالمِ.. بأنَّها قطرٌ زراعيٌ، وروضةٌ غنَّاء تتفجَّرُ فيها العيون، ولو تتبع الباحث قبل خمسين سنة، لرأى بأرضِها أكثر مِنْ مائتين عينٍ نضَّاخةٍ بين مدنية وبرية، تنبعُ مِنْ جوف الأرضِ، وتسيرُ لتُسقي الحقول والزراعة، وتتفاعلُ مع الطَّبيعة.. ففي الشتاءِ تعطيك دفئاً، حتَّى إذا استحممت فيها لا تكاد أن ترى مَنْ هوَ بجانبك لكثافة الضَّباب المتولد مِنْ حرارةِ مائها، وفيْ الصيف تعطيك برودةً، حتَّى كأنَّك تعومُ فيْ ماءٍ.. يكادُ أن يكونَ مُثلَّجاً ولكنَّهُ طبيعي، فالزراعةُ فيْ القطيف قائمةٌ على ساقِها، تعجبُ الزُرَّاعُ، فمحاصيلُ البصلِ والرز لهما دورٌ وموسمٌ، كما للفواكه (كالتين والرمان والخوخ والكثة) وألواناً مِنْ مختلف الفواكه في مواسم أخر، كما وصف الرحالة ابن

بطوطة القطيف بخصوبتها ونخيلها وزراعتها في رحلتهِ التجوالية المذكورة في كتابه (رحلة ابن بطوطة) وأشار إلى هذه الزيارة في ص ٢٨٠ مِنْ كتابهِ التجوالي المطبوع عام أربعمائة بعد الألف هجري، الموافق عام ثمانين بعد التسعمائة والألف ميلادي بمطبعة دار بيروت للطباعة والنشر، ولابد من إعطائي لمحة ولو مقتضبة عن حياتها الزراعية والتجارية التي كانت تتبادل التجارة بين القطيف وشواطئ الهند في ما يحصد من ثمار زراعة القطيف ونخلها فكان موسم السلوق الذي يثري القطيف فيشغل أيدي شريحة كبيرة من العاملين والتجار والطبقة الكادحة، ولابد لنا من إعطاء شرحاً عن السلوق والتمور وإن كان قد أعطينا لمحة عنهما في كتاب خيوط من الشمس فالسلوق يقطع أعداقاً من النخل وهو لا يزال بُسراً فيقطع كل بسرةٍ على حدة ويسلق في قدورٍ واسعة كبار يسجر تحتها نارٌ شديدةٌ من سجين النخل اليبيس المقطع يعده الفلاحون من بعد الموسم إلى الموسم الآخر ثم يجفف في البيادر ثم يحضر لوزنه فنانون دقيقون ليزنوه بموازين ضخمة كما يعبأ في أخياش بأيدي طبقة من الكادحين، كل من هذه الشرائح لهم اختصاصهم فيربحون ما يعيشون به من هذا الموسم الثَّر ثم يضعونه على ظهور ألاتن لشاطئي القطيف لتحمله السفن الضخمة إلى شواطئ الهند وتسبق هذا الموسم

شريحة تمثل تجار الهند للإشراف على ابتياع السلوق وسمي سلوقاً لأنه يسلق كما أوضحنا، ولا تنسى دور التمر الذي يُصرَم من النخلة ويجفف في البيادر ويعبأ في ظروف تسَّفُ من خوص النخل فتعبأ فيها التمور بعد تجفيفها وهذا الموسم كموسم السلوق يغطي فراغاً للأيدي الكادحة ويشغل مدة من الزمن لأنه بعد تجفيفه وتعبئته في ظروفه تحمله الأتن إلى السفن بشاطئ القطيف لتصديره إلى شواطئ الخليج كقطر والإمارات والبحرين وشواطئ أخرى، وقسم منه يوضع في كناديد مالكيه ليعصر فيتولد منه الدبس فيباع على تجار التمور ويحتفظون هؤلاء التجار بالتمر إلى موسم الشتاء حيث البدو الرحل يقدمون لشرائه ويعيشون عليه كغذاءٍ رئيسي لهم في تلك الصحراء كما تعيش على أكله واسطة نقلهم كالإبل والخيول ودوابهم كالماعز والشاة والأتن وللدبس موسمٌ كما للتمر والسلوق، فالدبس ينزف من الجوابي ويعبأ في أتناكٍ ليصدر قسم منه للخارج وقسمٌ يباع في الوطن وقد أعطينا عن هذه صورة في كتاب خيوط من الشمس فكانت القطيف دنياً من العطاء ترف بأجنحتها على أفق الخليج لأنها هي والأحساء الوحيدتان في هذا العطاء الخير ولكنَّها اليوم تبدلت فنضب ماؤها، وغارت عيونُها.. حيثُ التحفت المياه وراء الأرض، ويبست النَّخيلُ وهيَ قائمةٌ على أقدامِها، وماتت

الزراعة على كفٍّ لهبٍ وهاج وصُحِّرت على فؤادٍ ملتهب صادٍ، فإذا مررتَ اليوم بحقولِها.. لا تطالعك مِنْ تلك الحقول إلاَّ أشباحٌ مخيفةٌ فيْ حشرجة الموت، بعضُها نفضت أنفاسها الأخيرة، والأخرى فيْ طريقِها.. فيا تُرى مَنْ هوَ المسؤول عَنْ ضياعِ هذه الثروة القومية، الَّتي أضعناها باختيارنا طمعاً فيْ مادةٍ زهيدةٍ تنتهي بانتهاء ذلك الشَّخص، لأنَّنا تصرفنا فيها تصرفاً غير سليم، فالمخطَّطات المعمارية الَّتي حوَّلتها إلى مساكن، وقضت على مشارب السقي، ومخارج التصريف، واليد العاملة الَّتي نفضت كفها مِنْ الزراعة لتعيشَ فيْ دعةٍ، وهيَ واهمةٌ.. إنَّما تعيشُ فيْ عناءٍ، أو ليس الفلاَّحُ هوَ كيانُ الحياة، وقلَّة الأُوكسجين الَّذي يدفعُ تيَّارات المياه مِنْ أسفلِ منابعِ العيون إلى أعلاها، حيثُ عامل البترول الَّذي جذب الأُوكسجين مِنْ تلك العيون إلى آبار الزيت، وتلوث البيئة بسحاباتٍ أوجدتها المدنية، كالبترول والغاز والطائرات والسيارات والأدوات الكهربائيَّة الحديثة، كلها عواملٌ لوَّثت الجو وحرمتنا هذه النعمة الزراعية، فكانت زراعة القطيف تعيشُ على الطَّبيعةِ.. تنتجُ مَا شاء الله لها بدونِ عواملِ رش المبيدات، ولا تمسّها الآفات الطَّبيعية إلاَّ ندرةً، وقَدْ بقي منها بُقيةٌ تدلُّ على أصالة تحذير الزراعة، وحضارتِها فيْ أعماق التَّاريخ، كما حرمتنا منظراً جميلاً تعكسهُ لنا السَّماءُ على

صفحة الحياة عندما يجنُّ اللَّيلُ، ويُغطِّي المدن والسُّهول بدجنَّتهِ.

فأنتَ لا ترى ذلك المنظر الطَّبيعي السحري الذي يطل عليك بسمائه متلألئاً بنجومه وبضوء قمره الفضي في أبهج منظر سحري لا ترى أحسن من ذلك المنظر لأنه صنع فاطر السماوات والأرض، فهل نصيرُ غداً لعنة الأجيال لتفريطنا في هذه الثَّروة القومية، الَّتي تسلمناها مِنْ أبٍ عَنْ جدٍ.. هذه القطيف الزراعية أمَّا القطيف المعمارية الحضارية.. فكانت عاصمتُها كما يروي بعض الرواة مِنْ الشُّيوخ الطَّاعنين في السن مِنْ أهالي القطيف هيَ «الزارة»، ويضيفون إنَّ البحر كان متصلاً إلى حدودِها، وهذا التَّاريخُ قبل الإسلام، والزارةُ اليوم تقع على مشارف العوَّامية.. لا يتعدَّى هذا الاسمُ بيوتاً معدودةً تنتثر على اليمين والشمال، ولا تتجاوز أنامل اليدين، عند مدخلك للعوَّامية (إحدى قرى القطيف) وتطوَّرتْ الحياةُ فيْ موكبِها الصَّاعد، فرُدم البحرُ، وزرعت عرائس النخل.. فزالت تلك العاصمة، وهكذا تزولُ المدنُ والدول، فأُقيمت عاصمة القطيف الجديدة على نشَزٍ مرتفعٍ مِنْ الأرض، ومُصِّرت فيْ عام مائتين وستة عشرة هجري، حيث كان تاريخ التمصير يؤرَّخ بـ «حجره» أي عام مائتين وستة عشرة هجري، وهذا الرمزُ لهذا التَّاريخ فيه معنى الصلابة والقوة، وهذا الحسابُ

التَّاريخي يعرف بين علماء الحساب بالحساب الأبجدي، حيثُ كل حرفٍ منها يرمزُ إلى عدد مِنْ الأعوام، والتمصيرُ يُرادُ بهِ هنا التَّخطيط، وقَدْ سوّرت فيْ عام تسعة وثلاثين بعد الألف هجري، كما وجدته في الجزء السابع (ص **١٢٣**) من كتاب «الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية» للعلاَّمة الأستاذ الشَّيْخ فرج العمران، وسُميتْ بالقلعة.. لأنَّها حِصْنٌ منيعٌ، لما يحيطُها مِنْ سورٍ ضخْمٍ لهُ أبراجٌ، لعلَّها تصلُ إلى تسعةِ أبراجٍ أو عشرة، ويضمُّ هذا الحصن بيوتاً أُنشأت على طرازٍ معماري مِنْ أساليب بناء الشرق القديم، وفيها روعةٌ مِنْ الفنِّ، كالنُّقوشِ فيْ بعض جُدرها، ولها أسطواناتٌ تحملُ بعض سقوفِها، وأنتَ تنظرُ إليها كأنها فيْ جدتها وروعتها.. كأنَّما ناحتوها لَمْ ينتهوا مِنْ إعمارها وصبِّها، إلاَّ بعد أيَّامٍ أو شهورٍ، وهذا الحصنُ يجثمُ بعنقهِ المتطاول على ضفافِ شرق البحر، إذْ لا يبعُد البحر عنهُ إلاَّ أمتاراً، وكذلك الدوائر الرسمية تقعُ قرب بوابتهِ الشرقية، ولهُ ثلاثُ بوابات.. واحدةٌ فيْ الجهة الغربية، وأخرى في الجهة الجنوبية، وثالثتهم المشار إليها، كما يقال لها بوابةٌ رابعة فيْ الجهة الشمالية، طُيِّنت وسُدتْ لعواملٍ أمنية، ويعيشُ سكانُها فيْ ظلالِ دنيا نعيمٍ وترفٍ، فتجد الجواري فيْ بيوتهم، والأثاث الثَّمينة، والفرش الوفيرة..

وألوانٍ مِنْ التحفِ النَّوادر (كالبلور والصيني) وبيْض النعام.. الَّتي هيَ كالكرات تعلَّق فيْ السقوف والجدر.

وكانت الحضارةُ ترفُّ بظلالِها الوارفة فيْ تلك البيوت، وتنامُ على تلك الأسرَّة المفروشة بالدِّيباج، وتضاءُ سماءُ بيوتِهم بمصابيح مِنْ الكيروسين (أي الجاز) ويستيقظون على أحلامٍ ورديَّةٍ، فالسكانُ ينقسمون إلى طبقةٍ مالكةٍ للحقول، وهذه الطبقة تملكُ أكثر هذه الثَّروة القومية مِنْ نخيل القطيف.. مِنْ مدينة صفوى إلى مدينة سيهات وغرباً من مدينة آجام المعروفة باللغة القطيفية لا جام وإلى جزيرة تاروت شرقاً، فهيَ تعيشُ على تلك الحقول، وشريحةٌ أُخرى تعيشُ على ميدان التجارة اللاهثة، والشريحة الكبرى.. وهيَ الطَّبقةُ العاملة الكادحة في دنيا الشَّقاء، لما تُعانيهِ مِنْ أعمالٍ قاسية، فصيادو السَّمك ميدانهم البحرُ.. الَّذي إنْ غضِب ابتلعتهم أمواجهُ، وآخرون فيْ أعمالِ الإنشاء والبناء تصهرهم لفحات الشَّمسِ فيْ الصيف، ولسعات زمهرير الشتاء، وطبقةٌ أُخرى عاملةٌ فيْ مصانعٍ.. كصناعة أدوات الزراعة، وصناعاتٍ أخرى كإصْلاح البنادق، والدَّليلُ على تجذُّر أصالة الحضارة فيْ القطيف:

كانت بها فيْ يومٍ مِنْ أيَّام التَّاريخ الماضية مصانعٌ لإحدى أدوات الحرب، لأن الحرب في ذلك الظرف سلاحُها الَّذي

يُحاربُ بهِ يتكوَّن مِنْ ثلاث أدوات لا غيرهما (السيف والسهم والرمح) فالسيف يُصنعُ فيْ الهند.. ولذا نُسب لها فيقال سيوفٌ هنديَّة، والرمح يُصنعُ فيْ القطيف، فيُنسبُ للخط.. فيقال رماحٌ خطيَّة، والخطُّ هوَ إسمٌ يطلقُ على القطيف والبحرين والأحساء، ولا تنسى مرفأها العالمي، الذي تغنى بهِ الشُّعراء وضربوا بهِ المثل حين يشبِّبوا بحبيبتهم.. فيشبهوه بطيبها، فيقولون عطرُ داري نسبةٌ إلى دارين.. وهوَ الميناء العالمي للجزيرة.. لا للقطيف فقط، وكان يضمُّ مواسماً فكريَّة، كأسواقِ عكاظ والمربد، وظلَّ هذا التغني بعطر دارين منذُ فجرِ العصر الجاهلي إلى ما بعد القرن الرابع مِنْ عصر الإسلام، ولَمْ يُقصر التغني على شعراء الجزيرة، فشعراء العراق وشعراء مصر، ولعلَّ بعض شعراء الأندلس.. كلهم تغنوا بميناء دارين وعطورِها، ومِنْ شعراء العراق الشَّاعر الكبير/ الشَّريف الرضي قال:

أمسوا كأن لطائماً داريةً

باتت تضوع من القباب وتنفح

وقال أيضا:

يهدى إلينا شفعها ووترها

عياب دارين حملنَّ عطورها

ومِنْ شعراء مصر أمير الشُّعراء/ أحمد شوقي الذي تغنَّى بالنخلة ينطبق وصفه على نخل القطيف:

طَعامُ الفَقْيَر وحلوَى الغني

وزَادَ المسافرِ والمغتربِ

لقَدْ أعطيتُك يا قارئي صورةً عَنْ هذه البيئة، الَّتي ولد على صعيدها الإمام الشَّيخ/ علي الخُنيزي، وإنْ لَمْ ألمَّ وأطوِّفَ بجميعِ آفاقِها الَّتي تحملُ الحضارات والنبل والشَّهامة العربية، ولكن لابُدَّ مِنْ هذه الإلمامة.. حتَّى نعرفَ أين ولد الإمام الشَّيخ/ علي أبو الحسن الخُنيزي، وعلى أي صعيدِ بيئةٍ درج وفتَّح عيناه، فالبيئة الَّتي ولد فيها ودرج تحت سمائها.. هيَ قلعة القطيف حاضرتُها أمسِ، والَّتي راحت أدراجاً فيْ طيَّات الأمس، حيثُ انمحت معالمُها، وقُبرت آثارُها.. فلَمْ يبقَ منها إلاَّ الضلوع الجراشعُ، فبعد معرفتك يا قارئي.

ببيئة الإمام الخُنيزي الَّتي ولد بها، ندخلُ إلى أفقِ الأسرة.. لنُعطي لمحةً عامة عَنْ الأسرة، ومنها ندخلُ إلى أسرة الإمام الخُنيزي.

الأسرة

إنَّ للعنصر الأسري، والعنصر البيئي.. دورينِ مهمَّينِ فيْ حياةِ ذلك المولود، الَّذي يولدُ على صعيدِ تلك البيئة، الَّتي يُنشَّأُ عليها ويتفاعلُ مع عناصرِها البيئية والطَّبيعيَّة، وهذه العناصر والتفاعلات تغرسُ فيْ محيطِ الطفل العام ألواناً مِنْ الحياةِ، أمَّا محيطهُ الخاص.. ونعني بهِ محيط الأسرة، ولابُدَّ لنا مِنْ إلمامةٍ تعريفيةٍ عَنْ محيطِ الأسرة العامة، فالأسرة العامة.. هل نطلقُ عليها القبيلة الَّتي تتكوَّن مِنْ مجموعةِ فرقٍ وأقسامٍ، تعيشُ وتتجمَّعُ فيْ تلك المدينة، أو تعيشُ فرقاً في مدنٍ متفرِّقة، ولكنَّها تنتمي إلى جدٍّ واحد.. ويجمعُها صُلبٌ واحدٌ تنتمي إليهِ، وينتهي نسبُها عنده، وإنْ فرَّقت بينهم ألوانٌ ميّزتهم في مظاهر الحياة، يعودُ عاملُ هذا التفريق والتمايز للمدن الَّتي ولدوا على صعيدها، وتنسَّموا عبق نسيمها، فهم جميعٌ ينتظمون فيْ سلكٍ واحدٍ، ويربطهم جدٌّ واحدٌ، واسمٌ يُميّزهم عَنْ القبائل الأُخرى، وعَنْ الشعوب المتباينة، يُعرفون

بهِ.. ويطلق على تلك القبيلة أو الأسرة، كقبيلة عبد القيس أو غيرها، فأسرة الخنيزي هيَ منحدرةٌ مِنْ قبيلة عبد القيس الَّتي كان لها دورٌ في هذه الربوع، وفيْ حياتها التَّاريخيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة، وكانت تعيش في هذه الجزيرة على ضفاف الخليج، تتنقَّلُ بين القطيف والبحرين وتلعات نجد، وفيها الشَّخصيات وذوي الثَّروة، وكان لها الطَّابعُ الرئاسي والنفوذ الاجتماعي، وبعد هذه اللَّمحة عَنْ القبيلة العامة للإمام الخُنيزي الَّتي ينتمي إليها، لابُدَّ لنا أنْ نمرَّ بأفقِ الأسرة الخاصة وهي أسرة الخُنيزي.

أسرة الخُنيزي:

إنَّ لأسرة آل الخُنَيزي طابعاً إصْلاحياً وصلاحياً، بصمتهُ هذه الأسرة على صفحات التَّاريخ منذُ زمنٍ قديمٍ، وأكثرُ ما تجلَّى مظاهره على الصعيد الواقعي في قطر القطيف، وفيْ مدينة أوال المعروفة اليوم بالبحرين، فقَدْ استوطنت شريحةٌ مِنْ طائفة الخُنَيزي فيْ بلاد القديم (عاصمة البحرين أمس) وملكت أملاكاً واسعة الأرجاء، وشريحةٌ أُخرى فيْ القطيف، ومقرُّها القلعة خاضرة القطيف أمسِ، وكان لهذه الطائفة فيْ تاريخ القطيف صنيعٌ ضخْمٌ، ومشاركاتٌ واسعةٌ فيْ ميدان الخير والإصْلاح، كما حدَّثني العلاَّمة ابن العم الشَّيخ/ محمَّد

علي الخُنيزي، غيرَ أنَّ الزَّمن في غِيَرِهِ القاسية وأحداثِهِ المتلوِّنة.. حرَّك تلك الشَّريحة مِنْ طائفة الخُنَيزي مِنْ مسكنِها وسكونِها، لتهاجر إلى القطيف وتترك أوال «أي البحرين» ولكنَّني لا أعرفُ تاريخ الهجرة، وهذا الضَّياع الَّذي أشكوهُ وأتأوَّهُ منهُ.

فلنعُد إلى رسمتنا الَّتي بدأنا حرفها عَنْ الأسرة الخُنَيزيَّة، فقَدْ تُطلقُ الأسرة.. ويراد منها فرعٌ من القبيلة أو القبيلة نفسها، وقَدْ تُطلق الأسرة.. ويرادُ منها المحيط الضيق (الأب والأم والأبناء)، وبعد أن رسمنا رسمةً تعريفية فيْ حروفٍ مقتضبةٍ عَنْ الأسرة الخُنَيزيَّة.. الَّتي هيَ تنحدرُ مِنْ صميم عربي مِنْ قبيلة عبد القيس، وعَنْ تجوالِها وتنقلها، لأن الروافد التَّاريخيَّة مجدبة الزَّادِ.. منحسرة الظِّلال، نعودُ إلى المحيط الضيق فنفتح باب التَّاريخ لنعيش ولو لحظات فيْ جوِّ الأسرة الخاصة للإمام الشَّيخ/ علي الخُنَيزي.

فكأنَّنا نشاركهُ العيش في ذلك البيت الَّذي يقعُ فيْ قلعة القطيف[١]، بفريق الدريب وهوَ تصغيرُ دربٍ المعروف باللهجة القطيفية بـ: الزريب، وهوَ لا يزالُ برعماً لَمْ تفتّح كمائمهُ أضواءُ الفجرِ، يدرجُ في ذلك البيت فيْ محيطٍ كريمٍ طاهرٍ

(١) القلعةُ كانت تقسّم إلى أربعة أقسام (الدريب ـ الخان ـ السدرة ـ الوارش).

تحت ظلِّ أبيه/ حسن بن مهدي الْخُنَيزي، وحجر أمهِ الحنون/ رحمة بنت الشَّيخ علي بن عبد الجبَّار، وكان والدُها المجتهد والمرجع الأوَّل في عصرهِ في دنيا القطيف، المتوفى في عام سبعة وثمانين بعد المائتين والألف هجري، الموافق عام سبعين بعد الثمانمائة والألف ميلادي، وعام وفاته هذا.. هوَ العام الَّذي انتزع فيه التركُ القطيف مِنْ يد السلطة النجديَّة، وكان آنذاك شيخنا مريضاً، فقال له بعض عوَّاده إثر هذه الحادثة: ظهر الدِّين.

فقال الشَّيخ:

لا! بل خفي الدِّين، ففتّح الإمام الخُنَيزي عينهُ في أفقٍ رأى فيه والده (حسن) كمرجعٍ إصْلاحيٍّ، وشخصيَّةٍ إصْلاحيَّةٍ.. همّها وديدنها إصْلاح وطنها، وهوَ الشجرة المباركة الَّتي آتت ثمارها، فمن قطوفها هذا الإمام الشَّيخ/ علي الخُنَيزي، ولا ننسى دور ابنهِ الأكبر/ حسن علي، وقَدْ كان لحسن علي ظلٌّ مخصوصبٌ امتد على سماء القطيف.. حيث إنَّه بعد ولده الحاج/ حسن مهدي الخُنَيزي انحصر في ولدين وبنت، الولد الأكبر حسن علي، والإمام الشَّيخ/ علي الخُنَيزي، وبيبي، وأصغرُ عقب الحاج حسن الخُنَيزي سنّاً هو الإمام الشَّيخ/ علي الخُنَيزي، وبيبي هي الوسط سنّاً، حيثُ كان زواجها على العلاَّمة المرحوم السَّيِّد ماجد العوامي في ليلة السابع

والعشرون من شهر رجب عام ألف ومائتين وستة وتسعون هجرياً وهذا التحديد جاء من واقع ما رواه لي أبي وأنا أروي مضمون ما رواه لي بالمضمونِ لا بالحرف حيثُ قَالَ إنَّ زواج أُختي على العلامة السيد/ ماجد العوامي لم تدر من مظاهر معالمه في ذاكرتي الطفولية سوى إنني أتيتُ محمولاً صباحاً وَوضِعَ لي طبقاً به خُبْزٌ وحلوى ولا أعرِفُ المناسبةِ إنما بقيا ظل باهتٌ من معالم ذلك الزواج بعد أن وعيت طبقته على زواج أختي من العوامي وقد كنت بين الخامسة أو السادسة من عمري، وقد اطلعت على ما يطابق تاريخ هذا الزواج في الجزء الثاني ص ٣٩ من كتاب الأزهار الارجية في الآثار الفرجية للعلامة أستاذي الشيخ/ فرج العمران ما نصه:

(كان زواجه الأول المبارك وقرانه الميمون السعيد بكريمة المقدس الحاج حسن ابن الحاج مهدي الخنيزي في الليلة المباركة السابعة والعشرون من شهر رجب سنة ألف ومائتين وستة وتسعون هجري وهي ليلة المبعث والمعراج فطابق مع ما تحريته الواقع الملموس لما أستفدته من تدوين العلامة الشيخ/ فرج العمران وكان أخوها الإمام الخنُيزي لا يعي حقيقة زواجِها إلاَّ بصيصاً مِنْ ظلالِ ذلِكَ الزواج، كطيفٍ خفيٍّ لا يصلُ إلى دنيا المعرفة، وقَدْ ماتت بيبي غريقةً فيْ شط دجلة في العراق، في طريقها لزيارة العتبات المقدَّسة، حيثُ انقلبت

بهم السَّفينة في ثبجِ تيَّار المياه، فرؤي جثمانُها طافياً على فمِ المياه محجَّبةً لَمْ يبرز عضواً مِنْ جسمِها، ونقل جثمانها للنجف الأشرف ودفنت هناك، وكان ابنُ أخيها العلاَّمة الشَّيخ/ محمَّد علي الخُنَيزي.. مهاجراً للنجف الأشرف لطلب العلم، فتلقَّى جثمانها وأجرى عليه المراسيم الشرعية، والغريبُ ما مرَّ في حياةِ زوجها العلاَّمة/ السَّيِّد ماجد العوامي، وما تضبَّب في أفقِ نفسهِ مِنْ أطيافِ حزنٍ وظلالِ غروبِ رحيلها، كل ذلك ألقى على جو نفسهِ كآبةً لَمْ يستطع أنْ يدخل ويفتح غرفتها الخاصة بها، فبقيت تلك الغرفة ولَمْ تفتح إلاَّ بعد وفاة العلاَّمة/ السَّيِّد ماجد، فتحها ورثتهُ.. فوجدوها كأنَّها تنتظرُ صاحبتها الراحلة، وقَدْ مضى على رحيلها قرابةُ أربعين عاماً أو أكثرُ، ولهذه الراحلة بيبي صفاتٌ تميّزها.. فهي فنَّانةٌ في التطريز والخياطة، وفقيهةٌ في الدِّين وسريعة الإجابة، فمن الصُّدف الذكية.. وهيَ تصب الماء على يدِ زوجها العلامة السَّيِّد العوامي، فقال لها: لو طلبتُ منكِ أمراً هل تنفذيه، وبدون تردد منها تجيبه بالرفاء والبنين، فدهش زوجها وصمت هنيهة، وقال لها مستغرباً.. كيف قرأتِ ما في نفسي، فأجابتهُ: ليس عندك طلبٌ تطلبهُ مني متوقف على أذني إلاَّ زواجك مِنْ بنت أخي، لأن كل ما أملك من عقاراتٍ، هي تحت يدك وتصرفك، لا أمانعك في ذلك، كما

أنَّ بيبي تجيد الطهي إلى أبعد الحدود، وقال لها أخوها الإمام الـخُنيزي ذات مرَّةٍ: إنَّني أطلبُ منكِ يا أختي أن تطهي لي طهيةً مِنْ الفالوذج (أي المقرازي باللَّهجة الشَّعبية القطيفية) وهذه أكلةٌ لذيذةٌ مِنْ الحلويات الَّتي تركّب عناصرها مِنْ النشاء المأخوذ مِنْ حب البُر مع السكر والسمن بمقادير يزنها طاهيها، وأرسل لها المواد اللازمة لهذه الاكلة، فانتظرها مدَّةً فلَمْ يرَ تلك الطهية، فقال لها في إحدى زورتها له:

لَمْ أرَ يا أختي الطهية الَّتي أوصيتك على طهيها، فأجابتهُ لقَدْ أحضرت لي جميع المواد ولَمْ تحضر لي أدوات الوقود، كالحطبِ وأمثالها الَّتي يوقد منها للطهي، فأجابها ولما؟ ولديكِ حطبٌ كثيرٌ في بيت زوجك، فكان الجوابُ منها جوابَ فقيهٍ: لا أريد أن آخذ مِنْ حطبِ زوجي وهوَ لا يعلم، ولا أرى الاستئذان منه لشيءٍ حقيرٍ، فأكبرها أخوها وعظمت في عينهِ، وهاتان القصتان رواهما لي الأخ العلاَّمة الشَّيخ/ عبد الحميد الخطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لقَدْ خرجتُ بك يا قارئي عَنْ الهدف الَّذي خططنا الحرف مِنْ أجلِ سيرتهِ، وفي الحقيقة لَمْ أخرج عَنْ محيط هذا الحرف مادمتُ أتحدَّثُ وأقصُّ عَنْ الأسرة الخُنيزيَّة، والحديثُ كان عَنْ صنوٍ للإمام الـخُنَيزي.

فأسرةُ كل امرئٍ جناحهُ الَّذي يطيرُ بهِ، ويدهُ الَّتي يصفِّقُ

بها، وكلما ارتفعت الأسرة فيْ ذروة المجد والشرف، وجاء منها مولودٌ بنى مجداً وأضافهُ إلى تلك الأمجاد، فتلك صفحاتٌ تفتحُ صفحاتٍ مِنْ المجد فيْ تاريخ تلك الأسرة، وتعطيها دفعةً مِنْ الحياة فيْ شرايينها، لتبقى تتجدَّد مع تجدُّد ضوءِ الشَّمسِ، والأسرةُ الَّتي يتكوّنُ منها محيطُ ذلك المولود، ونعني بها الأب والأم، وما يظله سماءُ ذلك المحيط، فهذا الأفق الَّذي يفتحُ المولودُ عينهُ فيهِ، ويدرجُ على صعيدهِ ويتربَّى فيْ جوّهِ، ويشربُ مِنْ ينبوعِ أخلاقهِ، فالطفلُ في تلك السن المبكرة لا يتأثَّرُ إلاَّ بما يدورُ فيْ دنيا محيطهِ الصغير، ولا يعجبُ إلاَّ بأخلاقِ أمهِ وأبيهِ، ويرى أنَّ والدهُ هوَ القادرُ على تحقيق كل شيءٍ يطلبهُ دون غيرهِ، فيعيشُ مشدوداً بأجنحةِ هذا المحيط، فتأتي نشأتُهُ مِنْ مزيجِ ألوانٍ شربها مِنْ ذلك الأفق الصغير، فإن كانت التوجيهاتُ الإرشاديَّةُ خلقيَّة فاضلة مِنْ أبيهِ وأمهِ.. لبس الأخلاق الفاضلة، وإنْ أُهمل ذلك الطفل.. عاش فيْ بؤرةٍ فاسدةٍ يتسكَّعُ في الشوارع، وفيْ حياةِ إهمالٍ مِنْ الجهل والخمول، إلاَّ أنْ يتداركهُ الله بعنايةٍ، فينقذهُ مِنْ براثنِ ذلك الجهل إلى أفقِ المعرفة والفضيلة، وكثيراً ما يمرُّ الطفل اليتيم بهذه المعاناة القاسية.

فلنعُد إلى محيط الأُسرة الخاصة بالإمام الخُنيزي، لنضيف إلى الرسمةِ الخطوط الَّتي لم تكمل الصُّورة، حتى تكتمل الرسمةُ ونؤطِّرها في إطارٍ واحدٍ.

فالإمامُ الخُنيزي نشأ وتربَّى في محيط والدهِ، وكان ذلك المحيط مثالاً للصَّلاحِ والإرشاد، وللثَّقافةِ الدِّينيَّة، فهذه العناصر الفاضلة بنت منهُ روحاً مثالية.. لا تعرفُ طريقاً للمادة، إنَّما همها وهدفها المعنى والرُّوح، فهيَ مثاليةٌ إلى أبعد حدود المثالية، وقَدْ نعطي فيْ الصَّفحات الآتية ضوءاً مِنْ التعريفِ إلى نشأة الإمام الخُنيزي في هذا المحيط العائلي الخاص، إنَّما هنا نريدُ أن نعطي لمحةً عَنْ ورعِ والدهِ، وعَنْ أخيهِ حسن علي، فوالدُ الإمام الحاج/ حسن مهدي الخُنيزي.. كان ذو ثروة واسعة، ويملكُ مِنْ الحقول والبساتين أملاكٍ كثر وأوقاف تحت يدهِ، فالأوقافُ لها سجلاَّتٍ خاصة، والأملاكُ لها سجلاتٌ تخصها، وقَدْ روى لي العلاَّمة ابن العم الشَّيخ محمَّد علي الخُنيزي.. حفيدُ الحاج حسن مهدي الخُنيزي رواية، كما رواها أخي الشَّيخ حسن الخُنيزي وهيَ:

إذا جاء بهديةٍ له أحدُ فلاحيه مِنْ الَّذين يفلحون حقول الأوقاف، يسألُ عَنْ قيمة هذه الهدية، ويسجلها تابعة للوقف، فإذا قيل لهُ.. يا أبا حسن علي.. هذه هدية لك وليست مِنْ الأوقاف، أجاب المعترض برأي فقيهٍ، يضع النقاط على الحروف، لو لم يكن عنده هذا الحقل لما جاء لي بهذه الهدية، وغداً عندما يخرجُ الحقل من تضمينهِ.. هل يأتيني بهذه الهدية، فقال له المعترضُ: هذا كلام صحيح لا مراء فيه، فقال الحاج حسن إذاً لابُدَّ من تسجيلهِ تبع الوقف إبراءً للذمة.

وهكذا حياةُ الحاج/ حسن مهدي الخنَيزي فيْ طريقٍ مِنْ الإيمانِ والتقوى.. لَمْ ينحرف عنها حتَّى اختارهُ الله، وخلَّف تركةً فكريةً فيْ أبنائهِ (الإمام الشَّيخ/ علي الخنيزي، وأخيه الحاج/ حسن علي) فقَدْ كان لابنهِ حسن علي دورٌ إصلاحيٌ فيْ ميدان وطنهِ بالقطيف، وكرماً يعيشُ على مائدتهِ شريحةٌ مِنْ أبناء وطنهِ، ويستظلون بظلِّهِ.. فهوَ ذو ثروةٍ كبيرة، وكان أحد عوامل إثرائها معاملة أبيه معهُ، حيثُ يعيشُ هوَ وأبناؤهُ على مائدةِ أبيهِ حسن مهدي الخنيزي.. لا يصرفُ مِنْ جيبهِ شيئاً، مع كونهِ شريكاً لأبيهِ فيْ ميدان التجارة اللاهثة، حتَّى اختار الله والدهُ، واستقلَّ بتجارتهِ، وهذه السيرة قصَّها عليَّ وروى وقائعها العلاَّمة ابنهُ الشَّيخ/ محمَّد علي الخُنيزي، وبعد رحيل حسن علي فيْ شهر ذي الحجة، عام تسعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري، ترك فيْ هذه الدُّنيا ذِكْراً خالداً يتجسَّدُ مظهرهُ الحقيقي فيْ ابنهِ الزَّعيم الشَّيخ/ علي أبي عبد الكريم الخُنَيزي.. الَّذي طرق بصماته على صفحات تاريخ القطيف، وابنهُ العلاَّمة الشَّيخ/ محمَّد علي الخُنَيزي الزاهد الصابر.. الَّذي شغل مركز القضاء في شهر صفر عام أربعة وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري، بعد وفاةِ عمّهِ الإمام الشَّيخ/ علي أبي الحسن الخُنَيزي، وقَدْ وافت المنية العلاَّمة الشَّيخ محمَّد علي الخُنيزي في مستشفى العدامة بمدينة

الدمام، فيْ شهر شوال، عام اثنين وثمانين بعد الثلاثمائة والألف هجري، والحاج/ أحمد الخُنَيزي، فقَدْ كان شخْصيَّةً اجتماعيَّةً وسياسيَّة، يعملُ فيْ ميدان التجارة، وفيْ دنيا الإصْلاح بين النَّاسِ، فهوَ عاملٌ فعَّالٌ فيْ الحياة الاجتماعيَّة وبقية أبنائهِ الكرام، هذا هو حسن علي.. الأخ الأكبر سنّاً الذي أبنائه أكبر سناً من الإمام الشَّيخ/ علي أبي الحسن الخُنَيزي.

فهذه اللَّمحة التَّاريخيَّة الَّتي يفرضُها علينا البحثُ الدراسي عَنْ حياة الإمام/ أبي الحسن الخنيزي، أنْ نلمّ بأفقِ هذه الأسرة ولو إلمامةٌ قصيرة، وأنْ نطوّف بهذا الأفق.. ولو بإشارةٍ ضوئيَّةٍ تكشفُ مسيرة هذه الأسرة، وضروباً مِنْ ألوانِ حياتها، لأنَّها ترتبطُ ارتباطاً كليّاً بحياة الإمام/ أبي الحسن الخُنَيزي أو يرتبط بها.

بيئتُه العلميَّة

ولد الإمام فيْ بيئةٍ علميَّةٍ وثقافيَّةٍ، حيثُ جدّهُ والد أمهِ رحمة.. الشَّيخ/ علي بن عبد الجبَّار.. كان عالِماً كبيراً ومجتهداً، والمرجع الأوَّل فيْ القطيف فيْ عصْرهِ، ويحملُ ثقافةً، ويكتبُ الشِّعْرَ، ولهُ نفوذٌ على الزعماء السِّياسيِّين القطيفيين، فهم لا يخرجون عَنْ أفقِ إشارتهِ، وقصّتهُ مع الزَّعيم/ مهدي نصر الله.. خير دليلٍ لرؤيتنا، وقَدْ قصصتُها فيْ كتابي «خيوط مِنْ الشَّمس»[1]، ففي هذا الجو وعلى صعيدِ هذه البيئة، نشأ الإمام/ أبو الحسن الخُنَيزي وتربَّى واستقى مِنْ ذلك النبع معين العلم، قَدْ يفهم من هذا التعبير إنَّ الإمام أبا الحسن الخُنيزي عاصر جدّهُ العلاَّمة الشَّيخ/ علي عبد الجبَّار، ولكنَّهُ لَمْ يعاصرهُ.. حيثُ كان بين ميلاد السبطِ ووفاة الجد

---

(١) هذه القصّة مذكورة بالتفصيل في كتاب «خيوط مِنْ الشَّمس» الجزء الأوَّل ـ ص ٩٧ : ١٠٠، في الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ـ طباعة مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع (لبنان).

قرابة خمس سنوات، فوفاة الجد في عام سبعة وثمانين بعد المائتين والألف هجري، وميلاد السبط في شهر رجب.. عام واحد وتسعين بعد المائتين والألف هجري، غير أنَّ تلك السَّماء العلْميَّة والآثار الفكرية الَّتي تركها الجدُّ.. كانت إحدى الحروف الإشعاعية والرُّوحية الَّتي فتحت للسبط الخُنيزي آفاقاً مِنْ المعرفةِ والعلم سما إليها، فكان هاوياً للعلمِ.. عاشقاً لهُ، محتضناً حرفهُ كما تحتضنُ الأم رضيعها، يستلهمُ منهُ الجوهر والرُّوح.. لا اللفظَ، فنشأ منذ صغرهِ في هذا الأفق الضوئي، يمتارُ مِنْ هذه المائدة الرُّوحية، لَمْ يزاول عملاً ماديّاً كما اشتغل مَنْ سبقوهُ فيْ ميدان دراسة العلم الدِّيني، بأعمالٍ مادية كالتجارة، فقَدْ تفرَّغ الإمام/ أبو الحسن الخُنَيزي نفسهُ للدراسةِ.. لا يشغلها عنهُ شغلُ شاغلٍ، ولا تعرفُ الفراغ ولا التفتير، فمن المهدِ إلى اللحدِ حركةٌ علميَّةٌ تملأُ الأيَّام نشاطاً، ولا يمرُّ فراغٌ عليها في وقتٍ مِنْ الأوقات، وبهذا العقل النيّر والنّشاط الجاد، والتوفيق مِنْ خالقهِ، وصل أبو الحسن الخُنَيزي إلى ذروةٍ علميَّةٍ مميّزةٍ، فيها مِنْ الفكرِ ما يستنيرُ بهِ الأجيال، ويعيشُ على مائدتها العلماء المجتهدون، فكان فيْ مبدأ دراستهِ إذا زار أحد المحافل خرج بعض الجهلاء منهُ، ويعلِّلون ذلك.. جاء الخُنَيزيُّ ليملأ المجلس بحركتهِ العلميَّة،

ويغطِّي على ما فيهِ مِنْ حكاياتٍ بدروسهِ العلميَّة، فلا مقام لنا هنا.

هكذا كان في مبدأ دراستهِ، وكيف لو رأيتهُ بعد أن لبس بُرد الزَّعامة وأصبح أحد المراجع الكبار.. مِنْ الَّذين يُشارُ لهم بالبنان، فقَدْ رأيته فيْ نواديهِ وفي جلساتهِ الفكرية والعلميَّة حركةً فكريةً لا تهدأُ.. ولا تعرف التفتير في أساليبهِ التوجيهية والدراسية، على اختلافِ الشرائح الفكرية مِنْ الفضلاء المراهقين على باب الاجتهاد، إلى الدارسين المبتدئين، وحتَّى طبقة العوام يغمرهم هذا الدرسُ وهذا الفكرُ، باختلافِ الأداءِ والأُسلوب في صيغة التعليم والدرس، حتَّى يصل إلى أفهام تلك الشرائح، لقَدْ شهد هذه الدروس وهذه التعليمات كل من حضر نادي الإمام الخُنَيزي، ويتذكّرها مَنْ لا زال على قيد الحياة مِنْ الَّذين شهدوها، فالإمامُ الخُنيزي أوَّلُ واضع لبنةٍ للحركة العلميَّة والثقافية، فأَثرت هذه الحركة وأتت أُكُلَّها، وكان منها طلابٌ حملوا مشاعل العلم والأدب تنيرُ عتمة الحياة فيْ سماءِ قطيفنا، ولكنَّهُ يؤسفني كل الأسف حيثُ إنَّ هذا الشعب المغمور لا يزالُ يغطُّ فيْ سباتهِ العميق، برغمِ النداءات الضوئيَّة والتباشير الفجرية، الَّتي أُضيئت مِنْ وراءِ كمائمِ هذا الليل مِنْ الشَّباب الَّذين حفلوا وعنوا بدراسة تاريخ القطيفِ، فآمل مِنْ الله القدير أن يكون المستقبل مشرقاً، ولهم آياتُ الشكرِ والثناء.

فَجْرُ ميلاد

لَمْ أكن في هذه الأُطروحة وأسلوبِها.. أنْ أسيرَ على منهجيَّةٍ سَار عليها المؤرِّخون، فيقصرون حرفهم على ميلاد الشَّخصِ، وتاريخِ موتهِ، ولا يمرُّون بما تخلَّل حياتهِ مِنْ أحداثٍ، فالعبقريُ أو الزَّعيمُ الَّذي يمرُّ بهذه الحياة، ويشغلُ ناحيةً من نواحيها بأفكارهِ وأعمالهِ، فلابُدَّ للباحثِ أن يُعطي عنْهُ، وعَنْ أسلوبِ شخصيتهِ صورةً مجسَّدة، وقَدْ بدأتُ في هذه الأُطروحة في منعطفٍ يخالفُ المنعطفات التَّاريخيَّة الَّتي درجَ عليها المؤرِّخون والمترجمون، فكانت أُطروحتي ذي بدءٍ رسمت لمحةً من ظلٍّ لهذه الشَّخصيَّة، ولكنّ لابُدَّ لي من الرُّجوعِ إلى إشاراتٍ ضوئيَّةٍ تكشفُ عمَّا يدورُ حول هذه الشَّخصيَّة، وتسجيل انبثاقِها إلى أفق هذه الحياة.

فنفتتحُ هذه الصَّفحة التَّاريخيَّة بتعريفٍ لسلسلةِ نسبِ الإمام.. فهوَ الإمام الشَّيْخ/ علي بن حسن بنِ مهدي بنِ كاظم بنِ علي بنِ عبد الله بنِ مهدي الخُنَيْزي، وتنْحدرُ هذهِ الأسرة مِنْ أسرةٍ

عربيةٍ صميمةٍ.. تنْتهي لبَنِي عبْد القيْس، الَّتي موطنها بقلْب هذه الجزيرة، وترحالها التجْوالي مِنْ نجْدٍ إلى القطيف وأوال وكان لهذه الأسْرة الكريمة - أي أسرة الخُنيزي - دورٌ جليلٌ في حياةِ القطيف، ولها طابعُ الصَّلاح والإيمان، حيْث بنَتْ مجْداً ضخْماً في جميع أدوار حياة القطيف في: ميْدان الإصْلاح الاجتماعي، والسِّياسي، وفي مجال الفكْر العلْمي بأَدواره؛ وفي السَّعيْ للْخير بيْن أفْرادِ النَّاس، وفي صميم الحياة العِلْميَّة.

وقَدْ كان فجْرُ ميلاد الإمام الشَّيخ/ علي أبي الحسن الخنيزي.. في يومٍ مِنْ أيَّام شهر رجب الأصب المبارك، عام واحد وتسعين بعد المائتين والألف هجري، ولَمْ نعرف اليوم مِنْ ذلك الشَّهر الأصم، إنَّما أعطتنا ذاكرة التَّاريخُ الشَّهر والعام، وهذا يُعدُّ من النعم الَّتي لا يجودُ بها الزَّمانُ في ذلك الظَّرف، ومن الصُّدف الجميلة: أنْ يوافق يوم مولد الإمام وجود شاعرٌ مِنْ الشُّعراء، وهوَ/ محمَّد سعيد التميميُّ البغداديُّ، وكان ضيْفاً عند والدهِ/ حسن الخنيزي، فسجَّل تاريخَ ميلاد أبي في أبياتٍ من الشِّعْر وهيَ:

وَافَى إلَى حَسَن الأخلاقِ خيرُ فتىً

لاَ زالَ كالبدر فيْ الآفاقِ متَّقِدَا

أنــعِــمْ بــهِ ولَــداً، طــابــت عــنــاصــرُهُ

إذْ لــمْ يــزلْ بــأبــيــهِ الــدهــرُ قَــدْ ســعُــدَا

فــيْ يــوم مــولــدِهِ نــادَى مــؤرِّخــهُ

عــلــيٌّ حــقّــاً لــيــوم الــخــيــر قــدْ وُلــدَا

١٢٩١هـ - ١٨٧٤م

لقَدْ تنبَّأ هَذا الشَّاعر لهذا المولود بمستقبلٍ مشرقٍ، وحياةٍ مخضوضرةٍ كُلها عطاءٌ، ولَمْ يعلم بأنَّ مقولتهُ الشِّعْرية.. هَلْ يكونُ لها ظلٌّ مِنْ الواقع!! أمْ هيَ أخيلةٌ مرَّت بمخيلة الشَّاعر، فرسمها خاطرةً.. فكانت واقعيَّةً تُجسِّدُها الإرادةُ الإلهية.

لقَدْ ولد بأبي في ذلك العام المشار إليه في يومٍ من شهرِ رجب، حيثُ جاء لهَذا الكوكب، ولَمْ يدر فِيْ خاطرِ أحدٍ منْ أسرتهِ.. أو مِنْ النَّاس، وعَلى حدٍّ سواء أبيهِ أو غيرهِ، أنْ يكون لهذا المولود هذه المنزلة السَّامية المرموقة فِيْ العلْمِ والزَّعامة، سوى جدِّهِ العلاَّمة الشَّيخ/ علي بن عبد الجبَّار (والدِ أمهِ/ رحمة) حيثُ روى لي أخي المرحوم الشَّيخ/ حسن الشَّيخ علي الخُنَيْزي.. مقولةً عَنْ الجدِّ الشَّيخ/ علي بن عبد الجبَّار، حيثُ قال عندما رزق ابنةً وهيَ أم أبي: أسموها رحْمة.. ستلدُ إنْ شاء الله ولداً يكونُ مثلي، وأكمل مقولتهُ: سيكونُ عالِماً كبيراً ومحقِّقاً بارعاً مِنْ المجتهدين الأعلام، وصدق الجدُّ فِيْ

مقولتهِ، ويَا ليْتَهُ امتدَّت بهِ هذه الحياة ليرى سبطهُ.. فتقرَّ عينُهُ، ويرى مقولتهُ.

ولنعُد إلى منعطفاتٍ تاريخيَّةٍ مِنْ حياةِ أبي: حيثُ نشأ فِيْ أفقٍ طاهرٍ تَحْت ظلِّ زعامةِ والدهِ الحاج/ حسن مهدي الخُنَيْزي.. وكَان لوالدهِ فِيْ ذلك الظَّرف دورٌ كبيرٌ فِيْ زعامةِ القطيف، وفِيْ ميدانِ الإصْلاحِ بيْنَ النَّاس، فكَان البلْسَم للجروح، والكلمة الحلوة الطيِّبة الَّتي تتردَّدُ عَلى الشِّفاه، وتُعطِّرُ النَّوادي، فقَدْ كَان يملكُ ثرْوَةً مِنْ عقارات النَّخيل، تنبسطُ عَلى مساحةِ رقعة القطيف، ويُديرُ تجارةً بالاشتراك مع ابنهِ/ حسن علي..، فنشأ أبي وتربَّى في هذا المحيط، تغمرهُ عنايةُ من أبيهِ.

وبعدَ أنْ أهَّلهُ سنَّهُ إلى إدخالهِ للكُتَّاب، أدخلهُ والدهُ للكُتَّاب، ولكنَّنا لا نعرفُ السِّن الذي أُدخل فيه الكُتاب ولا العام فضلاً عن اليوم الذي أدخل فيها الكُتَّاب، ومَا هذا الكُتَّاب..؟ وما آفاقهُ الثَّقافية..؟ وكيف كانت حياةُ التَّعليم فيهِ في ذلك الظرف..؟ وطريقة الفسح للطلاب، وأجور التعليم..؟ كل هذا لَمْ يدوَّن فيما كُتب عن حياة أبي، ويؤسفني.. ولا يجدي الأسفُ: أنَّني لَمْ أستفسر مِنْهُ عَنْ هذا الفصل مِنْ كتاتيب التَّعليم فِيْ ذلك الظَّرف، وأكبرُ الظَّن أنَّ الكتاتيب في القطيفِ لَمْ تختلف كلَّ الاختلاف فِيْ جوهرِها، وفِيْ خطِّها

الَّذي سارت عليهِ فِيْ القرن الثَّالث عشر عَنْ القرن الرابع عشر، وإنْ اختلفت فِيْ بعض المواد العلميَّة الَّتي أُدخلت لها فِيْ تطوُّر الحياة، ولعلَّها تختصُّ بكُتَّابِ البريكيين[1]، وقَدْ كان هذا الكُتَّابُ ذروة الكتاتيب فِيْ عصْرهِ، يسيرُ على منهجيَّةٍ كمنهجيَّةِ مدارس الفلاح فِيْ الحجاز (المنطقة الغربية)، واحتفظَ بشكله حتَّى قامت الدولةُ بفتح المدارس عام سبعة وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري، الموافق تقريباً عام ثمانية وأربعين بعد التسعمائة والألف ميلادي، وقَدْ أعطيتُ لمْحةً عَنْ منهجيَّة الكتاتيب، وعَنْ هَذا الكُتَّاب الَّذي خصصتُهُ بلمحة توضيحيةٍ فِيْ كتابي (خيوط من الشَّمس) فمَنْ أراد معرفة حقيقة هذه الكتاتيب فِيْ ذلك الظَّرف.. فليرجع إلى الكتاب المشار إليهِ.

وبعد أنْ طوى أبي حياة الكُتَّاب، وهوَ عَلى عتبةِ العِقْد الثَّاني، تاقت روحهُ الطَّموحة إلى رشفاتٍ مِنْ ينبوع العلم، ففتح صفحاتٍ مِنْ حياتهِ الدراسيَّة عَلى أيدي علماءٍ مِنْ بلادهِ القطيف، وهُمْ: الشَّيخ/ محمَّد علي النهَّاش، والشَّيخ/ عبد الله الشَّيخ ناصر آل نصر الله، وابنهِ الشَّيخ/ علي آل نصر الله،

---

(١) البريكيين: هما العلاَّمتان.. الشَّيخ/ محمَّد صالح، وأخوهُ الشَّيخ/ ميرزا حسين.. ابني الحاج/ حسن البريكي.

والشَّيخ/ حسين ابن الشيخ محمد علي آل عبد الجبَّار، والشَّيخ/ منصور الجشي، والسَّيِّد حسين السَّيِّد هاشم العوامي (المعروف بالسَّيِّد حسين العالِم) المتوفَّى في شهرِ رمضان المبارك عام ثمانية وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجري، وقد كان أبي حركةً علميَّةً.. لا تعرفُ التفتيرَ أو الهدوء، يقتلُ وقتهُ في هذه الدروس، والكتب الدراسيَّة الَّتي لا تكادُ أنْ تظهرَ متونها للرَّائي، فهيَ فِيْ طباعةٍ حجريَّةٍ، وأوراقٍ صفراء، وشروحٌ بمتنِها كدبيب النمل المتراكم بعضُهُ على بعضٍ، والسراجُ الَّذي يقرأُ عليهِ هوَ: فانوسٌ لا يكادُ يُلقي بظلالهِ الضَّوئيَّة عَلى ذلك الكِتَاب.. ليُبين الحرف، أو «لالةٍ» أسطعُ ضوءاً مِنْهُ، هكذا كانت حياتهم.. فهم يستصبحون بالظَّلام ذلك العصر، وبرغمِ هذه المرحلة القاسية، فقَدْ أنتجت تِلْكَ الفترة مصابيحَ فكْرٍ، بدَّدت ضباب ليل الحياة، وجلَتهُ نهاراً للأعيُن وبدأ أبي فيْ فجرِ هذه الدراسة العلميَّة يخطو خطواتٍ سريعةً، متمثِّلاً (الوقتُ كالسيف.. إنْ لمْ تقطعهُ قطعك) وسرعان ما نمت علميتهُ، كما تنمو الوردةُ في كفِّ الربيع، لتذيع عطرها لجميع النَّاس، فهوَ أينمَا حلَّ، وفي أي نادٍ من النَّوادي، حركةٌ علميَّةٌ تُعطي وتأخذ.. كموجِ النهرِ المتدفِّق فِيْ جريانهِ لسقي الحقول والبساتين، ولَمْ أعرف أي كتابٍ مِنْ

كتب السطوح اختصَّ بقراءتهِ عَلى هؤلاءِ الأساتذة، وإنَّما الَّذي نُمي إلى علْمِنَا : هيَ القراءة الكُلية عَلى هؤلاءِ الأساتذة.

وهوَ فِيْ غمْرَةِ الدراسة.. كأنَّهُ ناداهُ منادٍ يهتفُ بهِ: أنْ أدِّي مَا عليك مِنْ فرضٍ واجبٍ (الحج إلى بيت الله الحرام) فلبَّى هَذا النداء القدسي، فركب الباخرة عَنْ طريق البحر إلى ميناء جدَّة، ليقضي مناسك الحج فِيْ عام ثلاثة عشر بعد الثلاثمائة والألف هجري، وكَان حُجَّاجُ بيت الله الحرام فِيْ ذلك الظَّرف فِيْ عصْرِ حكمِ الأتراك، الَّذين ساموا العرب الخسف، لا يستطيعون أنْ يسلكوا طريق البرّ للذِّهاب إلى مكة، حيثُ إنَّ الطَّريق غيرُ آمنةٍ، بل هيَ مخوفةٌ مزروعةٌ باللُّصوصِ، وقطَّاع الطَّريق.. فلا يأمنُ الحاج عَلى نفْسِهِ ولا على مالهِ، ولَمْ تؤمَّن هذه الطَّريق إلاَّ بعد حكم المغفور له الملك/ عبد العزيز آل سعود.. حيثُ أمَّن الطُّرقَ، فصارت سالكةً آمنةً.

وبعد أنْ قضى أبي مناسك الحج، وتشرَّفَ بزيارةِ سيِّد الخلق أجمعين، الَّذي بُعث رحمةً للعالمين.. محمَّد بن عبد الله ﷺ، وزيارة أئمَّة آلِ بيت رسول الله المدفونين فِيْ البقيع، آب إلى وطنهِ مواصلاً دراستهُ في جدٍّ ونشاطٍ، وتكوَّنتْ فِيْ آفاقِ نفْسِهِ رغْبَةٌ طموحةٌ.. متسعة الآفاق، لَمْ يعُد الجناح الَّذي يطيرُ بهِ فِيْ هَذا المحيط الدراسي بالقطيف، يساعدُهُ عَلى

التحليق، ويمدُّهُ بقوَّةٍ يزدادُ بها علوّاً، ليتوسَّد النُّجوم فِيْ آفاقِها، فجاء ذات ليلةٍ لأبيهِ ليفاجئهُ برغْبَةٍ ملحَّةٍ.. يعرضُ عليهِ الهجْرة إلى مدينة العلْم «النَّجف الأشرف» وبعد صراعٍ مريرٍ، طَاف عَلى أجواءِ حياتهِ، فأحيانا بينه وبين نفسه ومرة أخرى بينه وبين أبيه، وآخرُ المطاف: قرَّر والدهُ ابتعاثهُ للنَّجف الأشرف للدراسة، وأن يكون والدهُ بصحْبَتِهِ، يسْكُنُ معهُ.. إكمالاً للرِّعايةِ، وخدمةً للعِلْمِ الَّذي سَافر مِنْ أجْلِهِ ابْنُهُ.

في النَّجف الأشْرَف «حاضرة العلم»

لقَدْ قرَّر الجدُّ الحاج/ حَسَن.. أنْ يُسافر مع ابنهِ الإمام الشَّيْخ/ علي أبي الحسن الخُنيزي، وأنْ يتخلَّى عَنْ جميعِ مسؤولياتهِ المادية، وهيَ التجارةُ اللاهثة، وما يحيطُ بها مِنْ مسؤولياتٍ، ويسندُها إلى ابنهِ الحاج/ حَسَن علي الخُنيزي، كما يتخلَّى عَنْ معنوياتٍ، حيثُ كَان القطيفيون يلجأون إليهِ فِيْ ميدانِ الإصْلاحِ، ويعتبرونهُ القُطبَ الَّذي يدورُ عليهِ حرف حياتهم، فيحسّونَ بعْدَ سفرهِ بفراغٍ عميقٍ، ولكنَّهُ برغم هَذا وذاك هدَّأ مِنْ مخاوفِهم، وأسكن روعهم، وقال لهم: إنَّ ابني هذا/ حَسَن علي الخُنيزي.. سيقومُ مقامي، ويخلفني فِيْ حركاتي وسكناتي، وإنَّني متوكلٌ عَلى خالقي وخالقكم، ومسافرٌ غداً إنْ شاء الله، فغادر أبي مع أبيهِ فِيْ شهْر ذي القعدة، عام الرابع عشر بعْدَ الثلاثمائة والألف هجري، ووصل النَّجف الأشرف.. وكانت فِيْ ذلك العصْر قمَّةً مِنْ القمم العلْميَّة الشَّامخة، ومنارةً تضيءُ للتَّائهين.. وترشدهم إلى

سلامة المرفأ، ولَمْ يمرَّ عصْرٌ على حاضرة العلم، كهذا العصْر الذَّهبي، فهُوَ صفْحَةٌ مشرقةٌ فِيْ جبين التَّاريخ العلْمي، حيثُ تعدد جهابذة العلْم وذوي المنابر، الَّذين كانوا فِيْ نضوجٍ فكريٍّ، ومستوى علميٍّ.. يعيشون على قممٍ فكرية، يضيئون منها كما تُضيء النُّجوم لبني الأرضِ السَّالكين فِيْ نواحِ الأرضِ والبحر.

وصلَ أبي مع أبيهِ فِيْ التَّاريخ المشار إليهِ، والمحدَّد بالشهرِ والعام، وكَان أبي على مستوى علميٍّ فِيْ خاتمة السطوح، إذْ وصل للنَّجف الأشرف، وكان درسهُ عند مغادرةِ وطنهِ فِيْ الجزء الثاني من القوانين فِيْ علْم أصول الفقه وآخر فِيْ اللُّمعة فِيْ الفقه، فأكمل ما تبقَّى مِنْ الدراسة السطوحية، ولكن لَمْ نعرف أسماء الأساتذة الَّذين أكمل عليهم البقية، حيثُ لَمْ يدوِّن لنا مَنْ كتب عنهُ تلك الأسماء، وواصل نشاطهُ العلمي يستمدُّ العون مِنْ ربِّهِ، ومِنْ وهجِ شبابهِ، وتوثُّبِ آمالهِ الطَّموحة، فحضر الأبحاث الخارجية تحت منابر مَنْ كانوا قمَّةً فِيْ ذلك العصر، وهوَ يعيشُ فِيْ ذلك الأفق السعيد.

لقد أعطيت عن الحياة الفكرية في ذلك العصر عن مدينة حاضرة العلم النجف الأشرف ولم أعطِ عن حياة طالبي العلم وعن طبيعة النجف الأشرف، فأما حياة طالبي العلم فهم يعيشون عيشة الجشوبة ويقرأون على مصابيح مصفرة اللون

باهتة الضوء تكاد تظهر لناظرها في حشرجة الموت يسمى ذلك المصباح بالفانوس ولم يعيشوا على وسائد من الحرير ولا على فراش ناعم وثير ويجلسون على الطنافس إنما حياتهم بسيطة كل البساطة ولم تكن معقدة بل هي حياة طبيعية لا كلف فيها ولا عنت تسودها القناعة والصبر والأيمان فهي أقرب إلى حياة الفقراء الذين لا يملكون من حطام هذه الحياة إلا مجدها، أما طبيعة النجف فهي لا ماء فيها ولا شجر ولا غصون وارفة ولا جداول تنساب فتلطف ذلك الجو الصحراوي قارة في الشتاء ملتهبة في الصيف فيلجأ الطلاب في الصيف إلى سراديب والتي تعرف في لغتنا الحديثة بالقبو لتخفف عنهم وطأة الصيف الثقيل وتقيهم وهج السموم فليس هناك حياة ترف أو نعيم إنما هي حياة جشوبة متعب ودأبٍ طويل ولعل هذه العوامل دفعتهم إلى هذا النشاط والجد ومواصلة الدراسة لأن النعيم والترف إذا غرق فيه المرء قد يلقى عليه برداً من الكسل والخمول، وبينما أبي يعيش كما يعيش في غمرة من الراحة والفرح با بيه لكونه سناد عمود له في غربته ودراسته، فوجئ (بعاصفةٍ) أربدَّ لها جوُّهُ، وبطَّنهُ الحُزن.. لأن الظلَّ الوارف الَّذي يحنو عليهِ، ويقيهِ لفحات الهجير، ويُغطِّيهِ عَنْ رياح الزمهرير، قَدْ انحسر، حيثُ مات

والدهُ الحاج/ حَسَن مهدي الخُنيزي، فِيْ العشرين مِنْ شهر صفر.. عام السادس عشر بعد الثلاثمائة والألف هجري.

ودفن في ذلك الصعيد الطاهر بجوار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولَمْ يبقَ بعد وفاةِ والدهِ فِيْ أفقهِ العلمي (النَّجف)، إلاَّ شهوراً معدودةً، فغادرها نازحاً إلى وطنهِ القطيف، فِيْ شهر جمادى الأولى.. عام السادس عشر بعد الثلاثمائة والألف هجري، ولَمْ تكن هذه المغادرة والنزوح باختيارٍ منهُ، ولو كَان الأمر فِيْ يدهِ.. لما اختار النزوح، ومغادرة سماءِ دراستهِ، ولكنَّ هناك نداءٌ مقدَّسٌ يفرضُ عليهِ المغادرة (رضي أو لَمْ يرضَ)، هيَ وصيةُ والدِهِ: الَّتي تأمرهُ بالنزولِ إلى وطنهِ بعد وفاتهِ، ولابُدَّ مِنْ تنفيذها، ولكنَّهُ جاء إلى وطنهِ بجسْمِهِ لا بقلْبهِ.. حيثُ ترك قلْبَهُ سمير الأبحاث الخارجية، والدُّروس العلميَّة، وسرعان ما طوى قلاعهُ، ورسا على ضفافِ وطنهِ، فبقيَ فِيْ هذه الفترة.. يعيشُ على مجمرٍ مِنْ اللهفةِ والشَّوق والحنين، وعلى أجنحةٍ يودُّ لو طارت بهِ إلى أفقهِ الدراسي، وقرَّر التضحية بكلِّ شيءٍ (بالمادةِ.. وما يتعلَّقُ بها مِنْ عقاراتٍ ولو عاد عليهِ بالضَّرر)، فأوكل كُلَّ شيءٍ مما يعودُ إليهِ مِنْ ميراثٍ ووقْفٍ، ولَمْ ينتظر القسمة حتَّى يعرفُ ما لهُ مِنْ حقٍ، وأقام أخاهُ الحاج/ حَسَنْ علي ابن الحاج حَسَن الخُنيزي مقامهُ، وهذه الرِّوايةُ سمعتُها مِنْ فِيهِ.

وبعد ستة أشهر قضاها في وطنهِ.. عاد إلى أفقِ دراستهِ بالنَّجف الأشرف، وربما نستطيعُ أن نحدِّد تاريخ العودة.. في أوائل شهر ذي القعدة من العام المشار إليه.

فما كاد أنْ يصلَ إلى أفقِ دراستهِ (النَّجف الأشرف) بعد تِلْكَ الفترة الَّتي قَضَاها فِيْ وطنهِ.. وهيَ ستة شهور، أتصوَّرُها كأنَّها أعوامٌ طويلةٌ فِيْ حساب أبي، ولذلك أراد أنْ يعوِّضَ هذه الفترة الَّتي فرَّت مِنْ كفِّهِ (فرار حُلْم فرَّ مِنْ جفْنِ نائمٍ)، فعادَ يُضاعِفُ نَشَاطَهُ الفكْري، ويحضرُ تحتَ ذوي المنابر (جهابذةِ الفكْر والعلْم فِيْ ذلك العصْر) وهوَ العصر الزَّاخر المشرق بأنوارهِ فِيْ سماءِ النَّجف ونحن نجهل سر وصية أبيه في النزول ولم نعرف ما هو السر حيث لم نطلع على ذلك وبعد عودته الأخيرة أمضى إجراءات أخيه ووقع أوراق المقاسمة وكل ما يتعلق بالميراث هذه جملة اعتراضية، ونكمل حديثنا عن حاضرة العلم النجف عصر دراسة الإمام الخنيزي وكيف اشرئب العلم في نفوس العوام، انعكس ذلك الضَّوء فِيْ مرآةِ نفوس العوام، فكَان الفردُ مِنْهمْ يتحدَّث مع الآخر عمَّا يدورُ فِيْ أبحاثِ العلماء، حتى أخذ الشخص منهم يسمي ذلك البحث، فاليوم بحْث الإمام الآخوند يدورُ عَلَى حجية الظَّن.

فما ظنُّك بعصْرِ فكْرٍ لا تقفُ أفكارهُ وآراءهُ فِيْ آفاق

العلماء.. بل تتعدَّاها فتغمرُ شريحةً مِنْ العوام، وفِيْ هَذا العصر الذهبي: نال أوَّلَ شهادةٍ تقرُّ لهُ بدرجة الاجتهاد مِنْ صاحبِ منْبَرٍ عظيمٍ، وهوَ أحد الَّذين حضر تحتَ منابرهم.. وهوَ الحُجَّة المغفور لهُ/ السَّيِّد أبو ترابٍ بن أبي القاسم الخونساريُّ، وكان ذلك فِيْ عام ثلاثة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري، وكَان أبي يبلغُ مِنْ العمرِ قرابة ثمانية وعشرين عاماً، فيُعدُّ مِنْ الأذكياء النَّادرين الَّذين يحوزون عَلَى مثلِ هذه الشَّهادة فِيْ عمْرٍ مبكِّرٍ، لما يكتنفُ درجة الاجتهاد مِنْ عواملَ دراسةٍ صعْبةٍ وجُهدٍ يحتاجُ إلى كدِّ ذهْنٍ، وقتلِ وقتٍ، حيثُ يقول المثل (أعطهِ كُلَّك.. يُعطك بعضهُ)، وبعد سنتينِ على نيْلهِ هذه الشَّهادة نال ثلاث شهادات، فواحدةٌ مِنْ الإمام الكبير الشَّيْخ ملاً محمَّد كاظم الآخوند (أحد مجدّدي أُصول الفقْه) وأخرى مِنْ الحُجَّة الشَّيْخ/ محمَّد تقي آل الشَّيْخ أسد الله، وثالثةٌ مِنْ الحُجَّة الشَّيْخ/ فتح الله.. الشَّهير بـ (شيْخ الشَّريعة)، وكلُّها تُشيرُ إلى مستواهُ العلْمي الرَّفيع، لأنَّها صدرت مِنْ علماءٍ أتقياء.. لا يجاملون على حسابِ دينهم، كما أنَّها صادرةٌ عَنْ خبْرةٍ ومعرفةٍ بالشَّخصيَّة الَّتي مُنحت هذه الشَّهادات الأربع، لحضورهِ تحتَ منابرهم، ومناقشتهِ تِلْكَ الدروس الَّتي يلقوها مِنْ على هذه الذرى.

وظلَّ الإمام الخُنيزي يشربُ مِنْ هذا الينبوع.. برغمِ

الدَّرجات العلْميَّة الَّتي ارتقاها، فصار يُناقشُ أساتذته، ويوردُ عليهم آرائهُ، ويُشكلُ عليهم فِيْ أفكارهم.

وكان الإمام الآخوند لا يقبلُ مِنْ طلاَّبهِ الاعتراض وهوَ عَلَى المنبر، فإذا اعترضَ عليهِ أحد الطُلاَّبِ زجرهُ بحرفٍ يصيغهُ باللُّغة الفارسية (حرفُ نزن) أي: اسكت، وكَان الطُلاَّب لحبهم العلْم، وتفانيهم فِيْ سبيلهِ.. يتقبَّلون هذا الزجر كما يشربون الكأس العذبة فِيْ لهيب الصيف، ولكنَّ الإمام الآخوند.. كَان يعامل أبي معاملةٌ خاصة، فطالما ناقشهُ على المنبرِ فيجيبه أما عندك صبر يا شيخ حتى أنزل من المنبر وهذه المقولة سمعتها من أخي المرحوم الشيخ/حسن الخنيزي، وبعد انتهاءِ محاضرتهِ يخرجُ معهُ الخنيزي جنباً لجنب إلى بيتِ أستاذهِ الإمام الآخوند، وهوَ يحاورهُ.. ومِنْ تِلْكَ المحاورات والمناقشات «وحدة الوجود الصُّغرى»، وقَدْ أشار أبي إلى هذا الحوار والنِّقاش مع أستاذهِ، فِيْ كتابه (روضة المسائل) المطبوع بالنَّجف الأشرف عام ألف وثلاثمائة وتسعة وستون هـ عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعون.

ولَمْ يتقوقع أبي فِيْ زاويةٍ مِنْ الزوايا الضيقة، الَّتي تنكمشُ على نفسِها، ولكنهُ أخذَ يكتبُ ويؤلِّفُ الكتب، فكتب كتابًا فقهياً استدلالياً فِيْ الرضاع الذي قدمه لأستاذه وأسماهُ بالرضاعية ـ وهذا فصْلٌ دقيقٌ.. حسَّاسٌ.. مِنْ فصولِ الحياة،

حيثُ تدورُ عليهِ حياةُ المجتمع فِيْ نقاطِها فِيْ الميراثِ والزواج، وما يعقبُ الرضاع مِنْ عواملٍ يبتني عليها ذلك المجتمع، وتشاءُ الصُّدفةُ أنْ يُسافرَ الحاج/ أحمد الخُنيزي.. ومعهُ بعض أخوتهِ، فينزلُ على فراشِ أبي فِيْ بيتهِ بالنَّجف، حيثُ يملكُ داراً ابتاعها لهُ والدهُ قبلَ رحيلهِ لدار البقاء، وبهذه المناسبة يزورهُ أُستاذهُ الإمام الآخوند، فيُقدِّم لهُ أبي هذا الكتاب الَّذي يدورُ حول الرضاع فِيْ الإسلام، فيقرأهُ.. وعندما أعادهُ إليهِ قرَّظهُ بجملةٍ ضخْمةٍ (كثَّر الله أمثالكم فِيْ المسلمين)، ولا نعلمُ هل أنتجَ أبي فِيْ محيطِ دراستهِ بالنَّجف الأشرف كتبٌ أخرى غير هذا الكتاب، الَّذي شاءت المناسبةُ أن تبرزهُ لنا..!! فنعرفُ ذلك، ولعلَّهُ كتبَ غيرهُ وغيره، ويؤسفُني كل الأسف: حيثُ لَمْ أكن على مستوى فكْرٍ عندما كَان أبي عَلَى قيْدِ الحياة، لأقتبسَ منهُ هذه الخطوط لحياته العلمية بالنجف.. أو هذه الجزئيات، لأُضيفها إلى الهيكل.. لتكتمل الصُّورة، لأن أبي غادرَ هذه الحياة، وأنا فِيْ ظلِّ الشَّباب الغرير، وإن استفدتُ منهُ بدونِ سعيٍ أو طلب (بعض الألوان) مِنْ خطوطِ حياتهِ، حيثُ رسمتُ منها ظلاً مِنْ تِلْكَ الملامح فِيْ كتابي (خيوط مِنْ الشَّمس)، وسوفَ لا أُعيدُ رسمتها هنا.

وكَان أبي يعيشُ فِيْ ميدان التأليف والتدريس والتحضير،

لحضورهِ تحت تلك المنابر الرَّفيعة، ولا سيّما منبر الإمام الآخوند.. فإنه جامعةٌ تضمُّ جميع الكليّات فِيْ ألوانِها المختلفة، وأفكارِها المضيئة، كأنَّني أتصوَّرهُ وهوَ فِيْ هذه النَّشوة البديعة، الَّتي هيَ ألذُّ شيءٍ فِيْ الحياة، وفِيْ هذه النَّشوة.. أو السكرةِ بكؤوسٍ شفَّافةٍ روحيةٍ لا تصطدمُ بالمادة، إنَّما يُسكبُ فيها أنواراً مِنْ العلْمِ والفكْر، وفِيْ هذه الفترة يهتفُ بهِ هاتفٌ (زُرْ شعب إيران) لتحظى بأجر تشرفك ومثولك بزيارة ثامن الأئمة مِنْ آل الرَّسول ﷺ الإمام/ علي بن موسى الرضا، ولما رويَ عَنْهُ: مَنْ زارني على بُعْدِ مدايَ.. ضمنتُ لهُ على الله الجنَّة فهبَّ أبي عَلَى صَدَى هَذا النِّداء، وحزم حقائبهُ متوجِّهاً إلى إيران، وذلك فِيْ عام ثمانية وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري.

وكانت الرحلةُ طويلةً وشاقة، ويزيدُهَا عناءً.. لأن واسطة المواصلات عَنْ طريق الأُتُن (أي الحمير)، فيتعرَّض المسافرون فِيْ هذه الطَّريق الوعرة الجبلية إلى موت دوابِهم، فيحتاجون إلى البديلِ عَنْهَا، كما يموتُ بعضُ المسافرين فِيْ تِلْكَ الطَّريق، فكان أبي فِيْ هذه الرحلة المضنية ـ المحورُ ـ الَّذي تدورُ عليهِ حركةُ السَّيْر والنزول، ومَا يصيبُ المسافرين مِنْ جُهْدٍ وأمراضٍ، وموتٍ لهم أو لدوابِهم، وكان هو المخلص لشؤونهم والَّذي دفعهُ لهذا العمل «خلقهُ وأريحيّتهُ،

والأجر الخالص مِنْ الله وحده»، وساعدهُ عَلَى ذلك إنجاز معاملاتهم كونهُ يُجيدُ اللُّغة الفارسية، والتَّقديرُ الَّذي حُظي بهِ لدى المسؤولين، الَّذين يمرُّ بهم فِيْ دوائر تقعُ عَلَى تِلْكَ الطَّريق، وحمَّل نفسهُ هذه المسؤولية بدافع الخلق والأجر مِنْ الله، وليس عن طريق المسؤولية.. إنَّما هوَ مسافرٌ كأحدهم، وكان حليفهُ التَّوفيق فِيْ إنجازِ كلِّ مَا تقدَّم فيه.

وهذه المعلومات عَنْ هذه الرحلة: عرفتُهَا مِنْ أبي، وبعد هذه الرحلة المضنية.. وليست هيَ كرحلاتنا اليوم في فجر القرن الواحد والعشرين على جناحِ طائرٍ، لا يستغرقُ غيرَ ساعاتٍ فِيْ أبْعد رحْلة إلى ما وراء البحار، فكيف بنا إلى رحْلةٍ.. إلى طهران.. أو القاهرة.. أو بغداد!! إنَّها رحلةٌ لا تستغرقُ أكثر مِنْ ساعتين، أمَّا إذا امتطينا جناح الكونكورد، فما هيَ إلاَّ نصف المسافة الَّتي تستغرقُها غيرها.

لقَدْ خرجتُ بكَ يَا قارئي عَنْ الحلقة الَّتي مِنْ أجلِهَا تحدَّثتُ، فأغراني تطوُّر العلْم فِيْ هَذا العصْر، فلنعُد إلى النقطة الَّتي انتهينا عندها، فبعد أنْ قضى أبي ومَنْ معهُ الزَّمن الَّذي أرادوا أنْ يتمتَّعوا بهِ فِيْ ربوعِ إيران، أقفلَ راجعاً ومَنْ بمعيَّتِهِ فِيْ تِلْكَ الطَّريق الَّتي أعطينا عَنْهَا لَمْحَةً تصويرية، فواصلوا السَّيْرَ حتَّى وصلوا إلى ربوع العراق، فعاد أبي إلى أفْقِ مهوى قلْبِهِ، ومحطِّ آمالهِ (النَّجف الأشرف).. ليزداد فوق

درجاتهِ العلْميَّة درجاتٍ ودرجات، فالعلْمُ بحْرٌ لا يسبرُ غورهُ أحدٌ مهما أوتيَ مِنْ الذَّكاء والعمر، ولا يرتوي مِنْهُ طالبوه، فظلَّ يشرب ويسقي مِنْ ذلك النَّهر العذب كؤوساً ضوئيَّةً.. تُروِّي الظمأ، ولَمْ تدُر فِيْ أفْقِ نفْسِهِ خاطرةٌ مِنْ خواطر العودة إلى الوطن الحبيب، غيرَ أنَّ المجاهد الكبير العلاَّمة الشَّيْخ/ حَسَن علي البدر.. أخذَ عليهِ الآفاق، وألحَّ عليهِ إلحاحاً ثورياً، يطالبهُ بالعودة إلى وطنهِ، وكُلَّما أراد أبي أنْ يُخفِّف مِنْ هذه الثَّورة الجامحة، ويُهدِّأ مِنْ هذا النِّداء المنبعث مِنْ العقيدة الصلبة.. والمصلحة العامة، لَمْ يستجب العلاَّمة المجاهد لهذه التهدئة.. بل أخذَ يزدادُ فِيْ حماسهِ، فكأنَّهُ صوتُ ريح يزمجرُ فِيْ أُذن الفضاء، ويُكرِّرُ الطلبَ، وفِيْ مقولةٍ تشاكلُ الفُتية وهوَ يخاطبُ أبي (يجبُ عليك العودة إلى وطنك لتملأ فراغاً لا يملأهُ أحدٌ غيرُك، ولَمْ يبقَ لجلوسك فِيْ النَّجف الأشرف مِنْ حاجةٍ تفضلُ بقاءك عَلَىٰ نزولك إلى وطنك)، وتحتَ هذا الضَّغط الأخوي الَّذي ينبعُ مِنْ إخلاصٍ لما يراهُ يعودُ بالمصلحة الدِّينيَّة والعلْميَّة عَلَى دنيا الوطن.. ظلَّ أبي تحتَ هذا الضَّغط التفكيري فِيْ عالَمٍ مِنْ التأمُّلات بين أنْ يتركَ مدينة العلْم «النَّجف الأشرف»، فيعودُ إلى وطنهِ ليملأ ذلك الفراغ، فعاش تلك الأيَّام بين مدٍّ وجزرٍ، ولكنَّ المجاهد العلاَّمة الشَّيْخ/ حَسَن علي البدر.. لَمْ يترك لهُ فرصةً، فهوَ يواصلُ

إلحاحهُ عليهِ بالعودة، حتَّى روى العلاَّمة البدر لأبي مقولةً، ونـنقلُها هنا بالمعنى لا بالحرف «قال لهُ: مَا رأيُكَ فِيْ عالمينِ.. واحدٌ منهما يقومُ بخدمةِ وطنهِ والجماهير، لا تذوقُ عينهُ الرُّقاد.. والآخر: كُلَّما جاءهُ أحدٌ مِنْ الجمهور يشكو لهُ جراحتهُ، كان الجواب منهُ سلباً، أيُّهما ترى أفضل عند الجمهور؟! فأجابهُ أبي: فِيْ موازيني.. العالِمُ الَّذي يُضحِّي بنفسهِ ونفيسِهِ فِيْ سبيل الدِّينِ والوطن، يكونُ أفضلَ مِنْ الَّذي يقفُ موقفاً سلبياً.. لا يعودُ بمنفعةٍ على الوطن، فردَّ العلاَّمة المجاهد الشيخ حسن على البدر: لا يَا شيْخنا.. العالِمُ السَّلبي الَّذي يعيشُ فِيْ برْجهِ العاجي، ولا ينزلُ إلى طبقةِ الجماهير ليعيش معهم ويصبحَ واحداً منهم، هوَ عند الجمهورِ أفضلُ مِنْ العالِمْ الَّذي يُضحِّي مِنْ أجلِ الدِّين والوطن، ويشارك الجمهور فِيْ سرَّائهِ وضرَّائهِ، وبرغمِ هذه التجربة الواقعية.. لا أُفضِّلُ أن يتقوقعَ العالِمُ فِيْ ذروةٍ، يطلُّ منها على الجمهور، ولا يشاركهُ بؤسهُ وألمهُ وشقاءهُ، ولا أدعو لهذه الطريقة.. بل أفضِّلُ وأدعو للطريقة الَّتي لا يتقوقعُ فيها العالِمُ، بل يكونُ جزءاً لا يتجزَّأ مِنْ هذا الجمهور، وبرغمِ إخفاق هذا ونجاح ذاك فِيْ الحياة»، فكَان أبي مثال العالِم الَّذي ضحَّى بأموالهِ وأوقاتهِ، وراحتهِ.. من أجل الدِّين والوطن، كما نُصوِّرُ لمْحةً عَنْ هذا الجانب فِيْ الفصول الآتية، وأعْقَبَ العلاَّمة البدر فِيْ

طلبهِ الملح على أبي بالعودةِ إلى وطنهِ الحبيب، فقرَّر أبي بيعَ منزلهُ الَّذي يملكهُ بالنَّجف، حيثُ كان لهُ بهِ مجالسٌ علْميَّة، ومجلسُ تعزية تقامُ فِيْ بيتهِ.. فِيْ ليلةٍ واحدة في الأسبوع، وتصفيةِ أثاثهِ، وحزم حقائبهِ للعودةِ إلى الوطن على مضضٍ، وتوهُّجٍ وحنينٍ.. كالأُم الرؤوم إلى ابنها الوحيد.. إلى سماءِ مرقد بطل الإسلام، ومدينة العلْم الإمام/ علي بن أبي طالب عليه السلام.

العودة

وكانت عودته عن طريق البحر.. حيثُ إنَّ المواصلات فِيْ ذلك الظَّرف هيَ: عَنْ طريق السُّفن الشّراعية أو البخارية «إذا كانت الطَّريق بحرية»، أو الجمال.. أو الخيول.. أو الأُتُن «إذا كانت الطَّريق برية»، وكَانت الرحلةُ عَنْ طريق البحر، ولا ندري هل أقلَّت أبي سفينةٌ شراعية أو بخارِية!! وعَلَى أي الواسطتين.. لَمْ يشعر إلاَّ والسَّفينةُ تمخرُ بهِ فِيْ عباب البحر، وتشقُّ الأمواج.. حتَّى وصلَ إلى مرفأ وطنهِ (القطيف)، وحطَّ رحاله بهِ فِيْ يوم التاسع عشر مِنْ شهر رجب، عام تسعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري، ومنذُ وطأتْ قدماهُ تراب وطنهِ.. لَمْ يعرف الهدُوء أو السَّكينة، فتحوَّل إلى حركةٍ علْميَّةٍ تملأُ الفراغ، وتُشيعُ الدِّفء فِيْ ذلك الصَّقيع، الَّذي يُبطِّنُ جوَّهُ ليْلٌ مِنْ الجهْل دامسٌ وجليدٌ من الثلج، وكان العلاَّمةُ المجاهد/ البدر.. يعني ما يقول، وصدقَ وأصاب دنيا الواقع، عندما طلب مِنْ أبي بإلحاحٍ ـ العودة إلى الوطن ـ إنَّ

هذه الجملة كفاصلةٍ مِنْ الفواصل، وإنْ وقعتْ مستقرَّةً فِيْ محلِّها، ولكنْ عوداً عَلَى ذي بدءٍ، فإن أبي قسَّم حياتهُ الزَّمنيَّة، ينفقُها فِيْ تعْليمِ العوام، وتفقيههم فِيْ دينهم، وتدريس الطلاَّب مِنْ أهلِ العلْم، كما هدم مسجداً قديماً بالياً، وأقامهُ فِيْ أسلوبٍ معماريٍّ على الطراز القديم جعلهُ مقرّاً لإمامتهِ فِيْ صلاة الجماعة، يسمَّى هذا المسجد بـ: (مسجد المسألة.. أو بمسجد المسهلة)، ومِنْ سماءهِ.. أشرقت أنوارُ الحركة العلْميَّة والأدبيَّة، فهوَ أوَّلُ واضع لُبنتيهما فِيْ هيكلي العلْمِ والأدبِ فِيْ وطنهِ القطيف، فقَدْ أنشأ حركةً فكْريَّةً، غرس بذورها فِيْ آفاق نفوس (الشَّبابِ.. والكهول.. والشّيوخ) وهذه الحركة الفكْريَّة المباركة لا ترتبطُ بنادٍ مِنْ النَّوادي، أو بمسجدٍ، أو بزمنٍ محدَّدٍ مِنْ الأزمنة، فهيَ تدورُ مع دورتهِ الحياتيَّة، فأينما جلس تنبعثُ هذه الحركة، وإنْ اختلفت فِيْ اتجاهاتها المتشعِّبة، فهيَ عطاءٌ كالرَّبيع المخضوضر، وطاقاتٌ تنفحُ كُلاً عَلَى طاقةِ فهْمهِ، فالعوامُ لهم أسلوبٌ مبسَّط، بحيثُ يفهمون الحرف ويهضمونه، وللطلبة مِنْ العلماء والمراهقين: أسلوبِ أداءٍ رفيعٍ.. يرتفعُ ويستوي مع ثقافتهم، وللأُدباءِ والشُّعراءِ تعبيرٌ يُفسِّرُ الصّور الشِّعريَّة، ويشرحُ الحوادث التَّاريخيَّة، بحيثُ يخلقُ جيلاً صاعداً مِنْ الشُّعراءِ والأُدباء، فهوَ مدرسةٌ.. أو جامعةٌ مِنْ الجامعات الَّتي

تحتوي وتضم جميع الكُليَّات العلْميَّة.. والأدبيَّة.. والتَّربوية، فتصدقُ عليها هذه التسمية «حركةٌ فكريةٌ فيْ نادٍ سيّارٍ» وقَدْ ظلَّ فترةً يؤمُّ الجمهور فِيْ مسجد المسألة، وبعد أن ضاق تحوَّل إلى مسجد الرَّاجحيَّة، وكلا المسجدين بالقلعة (حَاضرة القطيف أمسٍ)، ولا نعرفُ تاريخ التحوُّل مِنْ المسجد السَّابق إلى المسجد اللاحق، وسنعطي لمْحةً عَنْ طبيعة المساجد فِيْ القطيفِ وقراها فِيْ ذلك الوقت البائس، ومسجد المسألة لا يزالُ قائماً على رقعة الحياة، وإنْ أُبدل هيكلهُ المعماري بأُسلوبِ هيْكلٍ مسلَّحٍ عصريٍّ، أمَّا مسجد الرَّاجحيَّة: فقَدْ قطعتهُ بلدية القطيف لصالحِ مشروع القلعة، وكان قطعهُ يعتبرُ خسارةً ماديَّةً ومعنويَّةً، فالمعنوية لأنه مصدرُ انبعاثِ الحركة العلْميَّة والأدبيَّة مِنْ سمائهِ، وذكرى للمرأة الصَّالحة (راجحيَّة)، الَّتي أوقفتهُ.. وجعلت قبرها فِيْ إحدى غرفهِ، وهيَ مِنْ أسرة آل غانم، والنَّاحيةُ المادية: فهيكلهُ المعماري الَّذي يتجلَّى فِيْ محرابيهِ (العلوي والسُّفلي) فقَدْ جُسِّد الفنُّ فيهما أبدعُ تجسيدٍ، ولا سيّما محراب الطَّابق العلوي، وقَدْ أعطيتُ عَنْ هذه المرأة.. وهذا المسجد.. لمْحةً تصويريةً فِيْ كتابي «خيوط مِنْ الشَّمس».

كما شغل أبي منذُ وطأتْ قدماهُ الوطن الحبيب ـ مركزاً خطيراً ـ وهوَ مركز القضاء: وهوَ الفصلُ بين النَّاس، أو

بالأحرى هيَ الحكومة بين خصمينِ متخاصمينِ.. يفصلُ القاضي بينهما، فيحكمُ بأحقيِّة أحدهما فِيْ المتنازع فيه، ويبعد الآخر عَنْهُ، فهذه ظاهرةٌ مِنْ الظَّواهر الاجتماعيَّة الخطيرة.... الَّتي تنفِّر المجتمع عَنْ ذلك الشَّخص.

فكان الإمام علي عليه السلام يقولُ: جاءني صديقٌ وعدو، أمَّا زمنُ أبي.. فكان يقولُ عندمَا يأتيه الخصمين: جاءني عدوٌ ولا صديق[1]، فبابهُ مفتوحٌ للقضاء، لا يُقيِّدهُ بدوامٍ، ولا يربطهُ بزمانٍ أو مكانٍ، ومنذُ اللَّحظة الَّتي عاد فيها إلَى وطنهِ، لَمْ يترك ممارسة القضاء.. حتَّى أغمضَ جفْنَيه ولقي ربه، وكَان مثال القاضي التقي النزيه، الَّذي لا يُفرِّقُ فِيْ الحكمِ بين ذي رحم وبعيد، ونضربُ على ذلك مثالاً حيّاً مِنْ تلك القضايا الكُثْر، حيثُ ترافع لهُ ابنهُ العلاَّمة الشَّيْخ/ عبد الحميد.. مع احد دلاَّلِ بياع التمورِ مِنْ أسرة الشَّنخنخ، والنزاعُ يدورُ بينهم فيْ بيعٍ وشراء في التمور، فلما ظهر لهُ الحق على ابنهِ.. حكم على ابنهِ لتاجر التمور، وهذه القصة علمتُهَا مِنْ أخي العلاَّمة الشَّيْخ/ عبد الحميد الخُنَيزي الخطي رحمه الله، وقَدْ أشرتُ لها وأعطيتُ لمْحَةً عَنْ بعض القضايا العويصة فِيْ فصْل القضاء والمنازعات، الَّتي عَجَز عَنْ حلِّها علماءُ عصْرهِ، فأرجعوها إليهِ.. فحلَّها، وأعطى كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

---

(١) هذه المقولة سمعتُها مِنْ فمِ أبي ح.

ولابُدَّ مِنْ إشارةٍ تاريخيَّةٍ إلى بعض الَّذين توهَّموا أنَّ الإمام/ أبا الحَسَن الخُنَيزي.. لَمْ يمارس القضاء إلاَّ بعد وفاة ابن أخيهِ الزَّعيم الحُجَّة/ أبي عبد الكريم الخُنَيزي، كالأُستاذ[1]/ السَّيِّد علي السَّيِّد باقر العوَّامي، وأخيهِ الأُستاذ/ السَّيِّد حَسَن، فلعلَّ ذاكرتهما قَدْ صدأتْ، وغطَّى عليها ركامُ الزَّمن وضبابُ ليل الحياة، فإن كلَّ مَنْ عاصرَ الإمام/ أبا الحَسَن الخُنَيزي.. يُحدِّثُك عَنْ مشاهدتهِ لقضائهِ، فكَان هوَ وابنُ أخيهِ الزَّعيم/ أبو عبد الكريم الخُنَيزي.. يديرانِ دفَّة القضاءِ، كُلٌّ مِنْهُمَا مستقلٌّ فِيْ قضائهِ عَنْ الآخر، وتُحالُ لهما القضايَا الرَّسمية مِنْ الدولة على مستوى أفقٍ واحد باستقلاليَّةٍ دون اشتراك، فالقضيةُ الَّتي تُحالُ للإمام لا تحالُ إلى الزَّعيم، فكلٌّ واحدٍ مِنْهُمَا يقضي حسب الكتابِ والسُّنَّة المطهَّرة، لا تأخذهما فِيْ الله لومةُ

---

(١) لقَدْ رددتُ عَلَى الأخوين/ السَّيِّدين المرحوم السيد علي والسيد حسن ابنيَ السيد/ باقر العوامي اللذين عاصرا وعاشا على صعيد واحد وتحت جو يتنفس فيه الجميع عاصرا الإمام الخنيزي والزعيم أبو عبد الكريم الخنيزي ولكنهما تحدثا خلاف الواقع والتاريخ وقد صحَّحتُ مفهومهما التَّاريخي بمقالي المعنون عبقري غطى عليه جدار التاريخ ولعل أصداء الذكرى خانتهما وكان السيد علي منصفاً فعندما قرأ مقالي قبل موته بأيام معدودات أعترف بصحة ما كتبته وصدى ذَاكِرَتُهُ نقل لي ذلك الأستاذ/ محمد باقر النمر المحرر في مجلة الواحة والمقال الذي هو تصحيحٌ لمفهوم الأخوين نُشر في مجلَّة الواحة ص ١٢١، عدد ٢١، عام ٢٠٠١، فمَنْ أراد مزيداً مِنْ الإيضاح، فليرجع لهذا العدد وقد نشرنا هذا المقال في أواخر هذا الكتاب للفائدة.

لائمٍ، وعندمَا اختار اللهُ ابن أخي الزَّعيم، انفردَ الإمام بالقضاءِ إلى أنْ اختارهُ اللهُ إلى دار البقاء.

وقَدْ مرَّتْ عَلَى الإمام مرافعاتٌ ونزاعاتٌ ضخْمَةٌ وعويصة، كبعض القضايا: يكونُ النزاعُ بين شخصيَّاتٍ كبار وفقراء مغمورين، كما حدث نزاعٌ في ميراثٍ بين عمدة قرية القديح المسيطرُ عليها فيْ ظرفهِ، وهوَ السَّيِّد/ رضي أبو الرحى، وبين علي حسين الشَّاعر، وعندمَا ظهر الحقُ لأبي.. أنَّهُ لعلي الشَّاعر، حكم لهُ على الشَّخصيَّة العُمْدَوية، ولعلَّ وقوع أحداث هذا النزاع في عام ستين بعد الثلاثمائة والألف هجري، أو ما فوقه بعامٍ أو عامين، فثارت ثائرتهُ.. ولكنَّ أبي لَمْ يلتفت لهذه الثَّائرة، ولَمْ يتراجع عَنْ طريق الحق، ولا يُفضِّلُ الغنيُّ عَلَى المعدم، أو الشَّخصيَّةُ عَلَى المغمور.. بل هم سواسية فِيْ ميزان الحق، فقَدْ عانى مِنْ جرَّاءِ هذه الأحداث خصومةً مِنْ المترافعين لديه مِنْ أجلِ إصحارهِ فِيْ القضاءِ، وعدمَ المداهنة فِيْ الأحكام.

ونعُد إلى أفقٍ مِنْ الآفاق العلْميَّة لحياةِ أبي، فقَدْ أنشأ وأقام بحْثاً خارجياً فِيْ وطنهِ «القطيف»، وكَان مقرُّهُ مسجداً بناهُ والدهُ الحاج/ حَسَن الخُنَيزي.. وأوقفَ عليهِ نخل يقع فِيْ قرية الجارودية بالقطيف، يُنفقُ ريعه عَلَى تعمير هذا المسجد، وإنارتهِ، وفرشهِ، وهذا المسجدُ مجاوراً إلى بيت أبي الشَّمالي

بحي الدريب، المعروف فِيْ اللُّغة الشَّعبيَّة القطيفية بـ: الزريب، وكَانِ هذا المسجدُ مشاهداً إلى الحسينية المعروفة بحسينية الزريب فِيْ النَّاحية الغربية، يفصلُ بينهما طريقٌ ضيقة، وقَدْ قطعتهُ بلدية القطيف لصالح مشروع القلعة فِيْ يوم الحادي مِنْ شهر جمادى الأولى، فِيْ العام الخامس بعد الأربعمائة والألف هجري، الموافق شهر يناير مِنْ عام خمسة وثمانين بعد التسعمائة والألف ميلادي، فكَان هذا المسجدُ أفقاً لهذا البحث، وسماءً تنبعثُ مِنْهُ أنوار العلْم، حيثُ يُقيمُ الإمام البحث فيهِ فِيْ كلّ صباحِ يومٍ، ولابُدَّ لنا مِنْ إعطاء لمْحةٍ تعريفية عَنْ طبيعة البحث الخارجي وتوضيحهِ.. فهوَ: محاضراتٌ علْميَّةٌ وفكرية، بحيثُ يُحضِّرُ المجتهد ذو الدرجات الرَّفيعة مجموعة آراءٍ أو أفكارٍ، تدورُ فِيْ مطالبٍ علْميَّة، فقهية أو أصولية أو حكمية.. يُلقيها عَلَى شريحةٍ مِنْ ذوي الفضل، الَّذين وصلوا إلى رتبة الاجتهاد.. أو هم مقاربون إلى درجة الاجتهاد، أو دونهم مرتبةً، فتدورُ تلك الثُلَّةُ حول منبر ذلك المجتهد المحاضر، أو فِيْ حلقةٍ دائريةٍ عَلَى الأرضِ.. تحدقُ بذلك المجتهد المحاضر، فيُلقي عليهم البحثَ الَّذي خصَّصهُ واختارهُ مِنْ أصولِ الفقهِ، أو مِنْ الفقه، فيُبيِّن آراء العلماء.. ويختارُ منهم ما رآهُ صحيحاً فِيْ رأيهِ بعد أن يقيم البرهان عليهِ، ويُضعِّف آراء الآخرين، وقَدْ حضر مِنْ ذوي أصحاب الفضيلة تحتَ منبر والدي فِيْ هذا البحث،

نذكرُ بعضاً منهم عَلَى سبيل المثال لا الحصر، العلاَّمتين الشَّيْخ/ علي بن حسن الجشي، والشَّيْخ/ محمَّد صالح ابن الشَّيخ علي المبارك والعلاَّمة الشَّيْخ/ منصور بن سيف، والعلاَّمتين الشَّيْخ/ محمَّد علي الخُنَيزي، والشَّيْخ/ محمَّد علي الجشي، والفاضلينِ/ السَّيِّد أمان الشُّرفاء، والشَّيْخ/ طاهر البدر، وغيرهم.. فكَان هذا البحث انطلاقةً فكريةً، فتحت ألواناً فِيْ الحياة العلْميَّة فِيْ القطيف، وأنشأت جيلاً يحملُ فضيلةً علْميَّة يُعتدُّ بها، ويُشارُ إليها بالبنان، وهذا أوَّلُ بحثٍ خارجي أنشأهُ أبي، وحتَّى إلى يومِنا هذا لَمْ يخلفهُ بحثٌ خارجيٌ، ولا أدري.. هل يكونُ آخرَ بحثٍ فِيْ القطيف، ولابُدَّ أنْ نعطي تعريفاً للطلاَّب الَّذين يحضرون بحث الخارج، كما أعطينا تعريفاً عَنْ البحث نفسه، فكلُّ طالبِ علْم.. عندمَا يُنهي دراسة دورة السطوح، وهيَ الكتب الدراسية المعروفة الَّتي تُدرس فِيْ الحوزة العلْميَّة، وبعدمَا يطوي الطَّالبُ دراستها، يحضرُ تحتَ أصحابِ المنابر المجتهدين العظام، ليتعلَّم منهم كيفَ يصلُ إلى طريق الاجتهاد؟ وكيف يعرفُ استنباط الأحكام مِنْ الكتابِ والسُنَّة؟؟ وعَلَى ضوءِ تِلْكَ المحاضرات يصلُ الطَّالب إلى درجة الاجتهاد.

... ونكتفي بهذه اللَّمحة التعريفية عَنْ دراسة البحث الخارج.

العناصر التَّربوية

إنَّ للتَّربيةِ عنصراً يلعبُ دوراً فِيْ الحياة التَّربوية، ويغرسُ فِيْ نفوس البراعم مِنْ النشء.. الخير، والمحبة، والأخلاق الفُضلى، فإذا استعرضنا حياة أبي.. ورجعنا لسفْرِها لنفتحهُ ونقرأ مِنْ حروفِها الخضراء، فلَمْ تطالعنا تلك الحروف الزَّاهية إلا بالرجل العالِم المجتهد، الَّذي لَمْ تطأ القطيف شخصيَّةٌ أعلمَ منهُ، فهوَ أفضلُ عالِم وطأت قدماهُ هذا الوطن في عصرهِ حتَّى اليوم، ولا تقرأ فِيْ تِلْكَ الحروف إنَّهُ أكبرُ عالِمٍ فحسب، فهوَ القائدُ والرَّائد والزَّعيمُ الَّذي ينطبقُ عليهِ معنى هذه الكلمات، والمربِّي للأخلاقِ.. فهوَ معدنٌ يفيضُ بالخُلقِ، وهو الكريمُ.. الَّذي يشبهُ السَّحاب فِيْ هطولهِ، والباحثُ والمؤلِّف والأديبُ الذوَّاق.. ذو الحس المرهف، وصاحب الحاسة الفنية الَّتي تزنُ الدقائق الفكرية، وتفتحُ مغلقاتها مِنْ العويص، وذو النظرة الثَّاقبة.. الَّذي يرى فِيْ يومهِ بنظراتهِ البعيدة ما يقعُ فِيْ غدهِ، فهوَ مجموعةٌ مِنْ الفضائل الإنسانية.. تجسَّدت فِيْ

شخصيَّةٍ واحدة، قَدْ يكون الشَّخص عالماً وكريماً.. ولا يكونُ زعيماً، أي لا ينزلُ مِنْ برجهِ العاجي لخدمة الجماهير، وقَدْ يكونُ الشَّخصُ عالماً.. ولا يكونُ أديباً يعرفُ مِنْ الأدبِ كنوزهُ، ومِنْ التَّاريخِ حقائقهُ، فهذه المفاهيم تحتاجُ إلى تفرُّغٍ وتفهُّم، ودراسةٍ واعيةٍ منفتحة.. غير منغلقة عَلَى نفسِها، وسنُشيرُ إلى هذه الصِّفات فِيْ لمْحةٍ تفصيلية.. نشرحُ فيها هذه المفاهيم التَّاريخيَّة، لتكون درساً لأجيالنا الصَّاعدة.

رجل الأخلاق

إنَّ الأخلاقَ هيَ العنصر الأساسي فِيْ حياة المصلحين، وكلُّ مصلحٍ أو زعيم.. إذا لَمْ يرتدِ ويلبس حُلَّة الأخلاق، وتكونُ الأخلاقُ عنْصُراً مِنْ عناصرِ شخصيَّتهِ، فسوف يكون.. مصيرُ زعامتهِ الإخفاق، ويعيشُ عَلَى تلٍّ ناشزٍ بعيدٍ عَنْ المجتمع، لا يستطيعُ أنْ يؤدِّيَ رسالتهُ الإصْلاحيَّة، ويوصلُها إلى مجتمعهِ.. ومَا أصدق بيت أمير الشُّعراء «أحمد شوقي»:

وإنَّما الأمـمُ الأخـلاقُ مَـا بـقـيـت

فـإن هـمُ ذهـبـتْ أخـلاقُـهـم ذهـبـوا

إنَّ الأمَّةَ بقاءها مقرونٌ بأخلاقِها، وبعدَ إعطائنا هذه اللَّمحة عَنْ عنصر الأخلاق.. ندخلُ مِنهُ إلى خلقِ حياة الإمام الخُنيزي، وقَدْ شاهدتُ صورها حيَّةً تتحرَّكُ، وعشتُها عَنْ كَثَبٍ، فكَان أبي يمثِّلُ الخلق الإسلامي فِيْ مظاهرهِ وعناوينهِ، فلا يأخذُ المسيء بإساءتهِ، ولا الجاهلُ بجهلهِ، بل يغضُّ عنْهم الطرف، ويتغابى عَنْ أعمالِهم الَّتي وجَّهوها إليهِ، بل

يكرمهم ويصلهم بعائداتٍ مِنْ برِّهِ لهم، وكَان معلِّماً أخلاقياً.. بذرَ هذه النَّواة الخلقية فِيْ نفوسِ أسرتهِ، ويعمِّمُهَا عَلَى أفرادِ وطنهِ الَّذين يتَّصلون بهِ، ويعيشون معهُ.. سواء إنْ كَان فِيْ القلعة (حاضرة القطيف أمسِ) أو فِيْ مدنِها وقراها وريفها، ويختصُّ بتعاليم يُصيغُها فِيْ أسلوبٍ تخاطبيٍّ إرشاديٍّ، لا ينفُّرُ مَنْ وجهت لهُ فمنها بحيثُ لا يقبلُ أنْ يسبقَ الصَّغير الكبير فِيْ دخول المجلس.. أو يتقدَّم عليهِ، ويبعدُ إلى أكثرِ مِنْ ذلك.. فلا يقبلُ مِنْ الشَّخصِ وهوَ واقفٌ أنْ يلقي علَى الشَّخصِ الآخر مَا فِيْ يدهِ مِنْ علبةٍ، أو زَنْدٍ، أو شيءٍ آخر.. بل يطلبُ منهُ أنْ يُسلِّمَ لهُ ذلك المطلوب يداً بيد، وقَدْ حدثت لي معهُ قصَّةٌ.. عندمَا كنتُ طفلاً فِيْ الكُتَّاب، فمِنْ الصُّدف إنَّني تركتُ (غُطرتي)[1] على متكأ وقَدْ وضع أبي ذراعهِ عليها وهوَ جالسٌ عَلَى مقعدهِ، وقَدْ حَان وقتُ الكُتَّاب.. فمددتُ يدي وسحبتُها مِنْ تحتِ ذراعه، فأوقفني: وألقى عليَّ درساً خلقيّاً، قائلاً (مَا هكذا يَا ابني، لما لَمْ تقل.. مِنْ فضلِك يا أبي أُريدُ أنْ آخذَ مَا تحتَ ذراعك).

هكذا التَّعاليم الخلقية، ومِنْ أخلاقهِ «الأُسلوب التواضعي» فكان إذا سلَّم عليهِ طفلٌ.. حيَّاهُ بتحياتٍ تبعثُ فِيْ ذلك الطفل

---

(١) الغطرة: هيَ تسميةٌ باللهجة الشَّعبية الخليجية، وهيَ مَا يُغطَّى بهِ الرأس.

النُبل والأخلاق، ولا يكتفي بتلك التحية.. بل ينحني عليهِ فيُقبّلهُ، وقَدْ أشرتُ لهذا الأُسلوب الخلقي فِيْ صورةِ أفقٍ أوسع مِنْ هذا الأفق فِيْ كتابي (خيوط مِنْ الشَّمس) فلا أُريدُ إعادتهُ، وإنَّما ذكرتُ الجزء الَّذي لَمْ يُذكر.

الرَّجل الزَّعيم

الزَّعامةُ طاقةٌ مِنْ الطَّاقات الرَّفيعة، البعيدة عَنْ التُرَّهات، ولا تكونُ مِنْ الَّذين يعملون لمصالحِهم المادية، بل هيَ طاقاتٌ تفنى ليعيش الآخرون عَلَى مائدتِها، ويشربون مِنْ جدولِها، فهل ترى هذا المفهوم التَّعريفي ينطبقُ عَلَى شخصيَّة الإمام الخُنيزي..! فقَدْ كَان العالِمُ الزَّعيم الَّذي يذوبُ كما تذوبُ الشُّموع فِيْ عتمةِ اللَّيل، ليُضيء إلى وطنهِ، ويحترقُ ليُسعدَ وطنهُ، فزعامتهُ مع علْميتهِ كلُّها خصبٌ وعطاء، فهيَ جناحٌ للغني، وظلٌّ سجسجٌ يُغطِّي البائس الفقير مِنْ وهجِ الشَّمسِ وقر الشتاءِ، حتَّى أُعطيَ هذين اللَّقبين (عالِم الفقراء، وعالِم الشَّعب) كما سمَّاهُ بعض الأُدباء، مثل الأُستاذ/ السَّيِّد علي السَّيِّد باقر العوَّامي.. فِيْ كلمتهِ التَّأبينيَّة الَّتي ألقاها فِيْ الذكرى العاشرة لرحيل الإمام الخُنيزي، ونُشرت فِيْ ذكرى الإمام.

الرَّجل العالِم

لا أستطيعُ أنْ أتعمَّقَ فِيْ هذه النَّاحية العلْميَّة الَّتي حازها الإمام الخُنيزي، ووصلَ إلى ذروةٍ عاليةٍ مِنْ ذراها، فأنتَ تراهُ عندمَا يُحدِّثُكَ، ويُلقي عليكَ بحْثاً مِنْ أي فنٍّ مِنْ فنون العلْم، مِنْ الفلسفةِ والحكمة.. أو أصول الفقه أو الفقه.. أو علْم المنطق العقلاني.. أو قواعد اللُّغة العربيَّة، تجدهُ يشرحُ مغلقاتهِا، ويُبسِّطُها فِيْ أسلوبٍ يفهمهُ ذلك الطَّالب الَّذي يُلقى عليهِ هذا البحث، أو السَّائل الَّذي يسألُهُ، فعلميتُهُ لا تزالُ غضَّةً طرية.. ولا يزيدُها مرور الأيَّام إلاَّ جِدَّةً واتّساعِ أفقٍ، لأنه حركةٌ علْميةٌ دائبةٌ، لا تعرفُ السُّكون ولا التفتير، فعلميتُهُ تتجدَّد كتجدُّدِ الشَّمسِ والفجْرِ عَلَى رُقعةِ الحياة، ولَمْ يكُن العالِم الفقيه الأصولي الحكمي الفلسفي الجامع لشرائط الفتوى فحسب، بل تمتدُّ علميتُهُ إلى آفاقٍ فكريةٍ، جزءٍ مِنْ علْم النُّجوم (الفلك).. وشريحةٍ وظلٍ خفيفٍ مِنْ علْم الطب، غيرَ أنَّهُ لا يُعالجُ الأبدان لما يرى مِنْ نفسهِ أنَّهُ لَمْ يصل إلى

الطَّبيب المخوَّل للعلاج، ومَالي بكَ يَا قارئي أنْ أُغرِّبَ بكَ أو أُشرِّق.. بل نسوقُ البراهين وندع مَنْ لهُ الاختصاص والمعرفة يتحدَّث عَنْ هذه العلْميَّة (علْميَّة الإمام الخُنيزي).

وقَدْ مرَّ عليك تقريظُ الإمام الآخوند لكتاب «الرضاعية فِيْ الإسلام».

كما عرَّف العلاَّمة الشَّيْخ/ حَسَن علي البدر[1].. علْميَّة الإمام الخُنيزي، وشهد بأنَّهُ أفضلُ عالِم موجودٍ فِيْ ذلك العصر بعد موت الآخوند، كما شهدَ لهُ العلاَّمة الشَّيْخ/ محمَّد بن نمر.. أنَّهُ أفضلُ عالِم وطأتْ رجلهُ القطيف، وأخيراً شهد لهُ إمامُ الحوزة العلْميَّة بالنَّجف فِيْ هذا العصر الإمام السيد الخوئي (قدس سره) عندمَا قرأ كتابهُ الَّذي هوَ الدورة الفقهية «دلائل الأحكام» فعلَّقَ عليهِ بكلماتهِ التقريظية.. الَّتي تنطوي عَلَى إكبارٍ وإجلال، وقَدْ أشرنا إلى هذه الكلمات الَّتي ندَّت مِنْ شفاه هؤلاء العظماء فِيْ كتاب «خيوط من الشَّمس والدليل البرهاني إصداراته التي ستنشر المجموعة الكاملة قريباً

---

(١) نقلنا رأي العلاَّمة البدر تفصيلاً فِيْ المجلَّد الثاني مِنْ كتاب «خيوط مِنْ الشَّمس» ص ٢٥٦، كما نقلنا رأي العلاَّمة النمر من نفس الكتاب ص (٢٥٥، ٢٥٦) ورأي العلاَّمة الخوئي ص (٢٥٦، ٢٥٧) وكلها فِيْ الطَّبعة الأولى مِنْ نفس الكتاب ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، طباعة مؤسسة البلاغ للطَّباعة والنشر والتوزيع.

إن شاء الله عن طريق العلامتين ابنه الشيخ عبدالله والشيخ جعفر محمد حسن الربح».

وإنَّ زعامتهُ الوطنية.. الَّتي سهر في سبيلها اللَّيالي، حتَّى يفتح الفجرُ جفْنيهِ، ولا تقتصرُ هذه الزَّعامة عَلَى مفهومٍ واحدٍ فِيْ مجالٍ مِنْ المجالات الوطنية، بل تمدُّ ظلها وتنبسطُ فِيْ ميدانِ خدمة الوطن، كالإصلاحِ والتضحية بالأوقاتِ، ولا يقفُ ذلُها مقصوراً عَلَى أفرادِ الوطن، فهيَ همزة الوصل بينها وبين مليكها المغفور لهُ/ عبد العزيز آل سعود.. فِيْ حلِّ مشاكل هذا الوطن، وقَدْ وجدنا بعد وفاة الإمام الخُنيزي.. فِيْ محفظةِ أوراقهِ أوراقاً تدورُ بينه وبين الملك.. يطلبُ منهُ حل مشاكلِ أبناء الوطن، وهذه الخطابات أخذها الأخُ الأكبر الشَّيْخ/ حَسَن الخُنيزي، ولا أعلم ماذا فعل بها الزَّمانُ، وإنَّ ذاكرتي لا تتذكَّر مِنْ نصوصٍ هذه الخطابات إلاَّ نصَّ برقيةٍ كَان الإمام الخُنيزي رفعها لجلالة الملك، وهيَ شكاية عَلَى دوريةٍ مِنْ خفر السواحل، حيثُ أطلقوا النَّار عَلَى شخْصٍ سيدٍ مِنْ أهالي صفوى، يمتهن صيد الأسماك.. فأرْدوهُ قتيلاً، ولعلَّ حرفية البرقية إنْ لَمْ تخوني الذَّاكرة بعد الدِّيباجة الَّتي تليقُ بمقام مؤسس الجزيرة.. المغفور لهُ الملك/ عبد العزيز آل سعود بقتل الدورية للسَّيِّد البريء أختل الأمنُ، وكَان الملكُ يتفهَّمُ مَا يصلُ لهُ مِنْ شكاياتٍ مِنْ مواطنيهِ، ويُسارعُ فِيْ التحقيقِ والبت

بالعدل فيها، وقَدْ انفردَ بالتفاتةٍ ملكيةٍ.. لعلّهُ اختصَّ بها دون غيرهِ، فهوَ يصحبهُ جهازٌ لاسلكيٌ فِيْ حلّهِ وترحالهِ، يُسمّى بالشنطة، وكلُّ مخابرةٍ عَنْ طريقِ هذا الجهاز تُعرضُ عليهِ حالاً.

ولم نجد طي هذه المخابرات مطلباً شخصياً يخصُ أبي طالبَ به فلنعُد للحديث عَنْ الإمام الخُنيزي، فهوَ الزَّعيمُ الوطني، والقاضي الَّذي كَان بيتُهُ مقرّاً للمحكمة، ولا يتقاضىُ مُرتباً ولا مقابلاً على أوراقٍ أو دفاتر، بل كلها يصرفُها مِنْ جيبهِ الخاص، وربما بذل مِنْ مالهِ فِيْ سبيلِ إصْلاح المتخاصمين، كما وقعتْ عندهُ خصومةٌ بين زوجٍ وزوجة.. بذلَ فيها مِنْ مالهِ الخاص لإنقاذِ تلك الزوجة وفكِّ رباطِها مِنْ زوجها.

وقَدْ أشرتُ لها تفصيلاً فِيْ كتاب خيوط مِنْ الشَّمس[1]، وهذه القضية استشهدنا بها كمثالٍ للقضايا الكُثْر الَّتي تُماثلُها، وممارستهُ للقضاء منذُ وطأتْ قدمهُ وطنه «القطيف» فِيْ شهر رجب، عام تسعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري.. فكان يدير القضاء مع ابن أخيهِ الزَّعيم الشَّيخ/ علي أبي عبد

---

(١) هذه القضية مذكورة تفصيلاً فِيْ الجزء الثاني مِنْ كتاب «خيوط مِنْ الشَّمس» ص (٢٤٩، ٢٥٠) الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، طباعة مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع.

الكريم الخُنيزي، كلٌّ منهما على استقلالية، وبعد رحيلِ ابن أخيهِ الزَّعيم الشَّيخ/ علي أبي عبد الكريم.. انفردَ بالقضاء حتَّى اختارهُ الله.

الرَّجل القائد الرائد

سبقَ أنْ تحدثنا عَنْ مفهوم الزَّعامة، ومَا فيها مِنْ معانٍ.. فهلْ الزَّعامةُ غير القيادة.. أم القيادةُ هيَ نفس الزَّعامة، فكلُّ زعيمٍ قائد.. لأن القيادة فِيْ مفهومِها الخاص قَدْ تتجسَّدُ فيْ قائد الميدان الحربي، فهو الذي يتلقَّى أوامرهُ مِنْ الزَّعامةِ.. ففي هذين المفهومين لُقية وافتراق، فإن الزَّعامة والقيادة قَدْ تمتزجُ روحيهما فتتجسَّدُ فِيْ شخْصيَّةٍ واحدة، وقَدْ حفل التَّاريخُ بهذه الشَّخصيَّات، فالإمامُ الخُنيزي هوَ أحدُ تلك الشَّخصيَّات اللَّتينِ تلاقتا فِيْ شخصيَّتهِ.

الزَّعامةُ والقيادة

وقَدْ أعطينا لـمْحةً عَنْ زعامتهِ، ودللنا عليها فِيْ مواقفهِ الوطنية والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة.

أمَّا القيادةُ: فهيَ صفةٌ مِنْ صفاتهِ، فكم مِنْ حدثٍ يمرُّ عَلَى وطنهِ.. فيكونُ فيهِ القائد الأوَّل الَّذي يجمع الصُّفوف ويوحِّدُها ويقيدُها إلى سبيل الخير، وهوَ الزَّعيمُ القائد، ودللنا عَلَى ذلك بمواقفهِ الوطنية السِّياسيَّة فِيْ مراجعاتهِ مع جلالة الملك/ عبد العزيز آل سعود في القضايا السياسية والمطالب الوطنية.

وخيرُ مثالاً قيادته للحدث الذي وقع على العلامة الشيخ منصور المرهون وتبنه فضيلة الشيخ علي وقد شهدتُ قصة هذا الحدث من ألفه إلى يائه حيثُ يجمع أبي الشخصيات في بيته وهذا الحدث وقع في شهر شوال واحد وستون بعد الثلاثمائة والألف هجري وأمَّا ريادتهُ.. فكَان الرائد الأوَّل للحركة العلْميَّة والأدبيَّة فِيْ وطنهِ (القطيف) حيثُ بعثها مِنْ سكونِها العميق إلى حركةٍ حيّةٍ، تشرقُ أضواءاً فِيْ عقول المفكِّرين مِنْ

علماء وأدباء، وسقى بذرتها فِيْ تلك النَّدوات الَّتي يديرها فِيْ ناديهِ، أو فِيْ مجالس الآخرين الَّتي يُدعى إليها، وفِيْ المسجد الَّذي تفرَّد بقسطٍ كبيرٍ مِنْ أوقات الإمام الخُنيزي.. أنفقها ساعاتٍ فِيْ تعليم العلماء والنشء الجديد، ولا تزالُ تعيشُ هذه التَّعاليم فِيْ أفكارِ مَنْ شربوا مِنْ كأسهِ حتَّى يومِنا هذا، وقَدْ أشار إلى هذه الظَّاهرة التَّعليميَّة الشَّاعر/ محمَّد سعيد أحمد الجشي[1] في قصيدتهِ التَّأبينيَّة الَّتي تُجسِّدُ العواطف الحزينة للشعب، وهيَ مطبوعة في «ذكرى الإمام الخُنيزي»:

وعت الأحكامَ فيْ مسجدهِ أمَّةٌ

لمْ يرجَ بالأمسِ شفاها

ولابُدَّ مِنْ إشارةٍ ضوئيَّة لدور المسجد فِيْ دنيا الإسلام، فمنذُ اللَّحظة الأولى الَّتي أشرقت فيها شمسُ الإسلام، وقام نبيُّ الرَّحمة ﷺ بالدَّعوة الإلهية، فكَان مطلعُها المسجد الحرام بمكة المكرمة.. إلى مسجد الرَّسول الأعظم بالمدينة المنورة، وظلَّ المسجدُ الفجرَ الَّذي يضيءُ عتمة الحياة إلى يومِنا هذا.

---

(١) المتوفى في يوم التاسع عشر من شهر رمضان المعظم عام العاشر بعد الأربعمائة والألف هجري الموافق الرابع عشر من شهر إبريل عام تسعين بعد التسعمائة والألف ميلادي.

العالِم الكريم

إنَّ مِنْ البديهيات التحدث عَنْ علْميَّة الإمام الخُنيزي، الَّتي لا ينازعُ فيها أحدٌ، ومتى احتاج النهارُ إلى دليل، وقَدْ قلنا إنَّهُ أعلمُ شخصيَّةٍ وطأت قدمُها هذا الوطن، وسُقنا البراهين عَلَى ذلك.. وهيَ شهادة علماءٍ كبارٍ أتقياء أبرار.. لهم مضمارٌ ضخمٌ فِيْ شوط العلْم، وبرهانٌ آخر.. هم طلاَّبه الكُثْر الَّذين أنشأهم وسقاهم حتَّى أصبحوا مِنْ الَّذين يُشارُ لهم بالبنان، وأوضحنا أسماء ثلَّةٍ منهم مِنْ الَّذين حضروا البحث الخارج، وهناك ثلَّةٌ تعلَّموا عَلَى يدهِ فِيْ ندواتهِ.. فاستفادوا وحازوا فضيلةً، كالعلاَّمتين «نجلهِ الشَّيْخ/ عبد الحميد، والشَّيْخ/ فرج العمران» والعلاَّمة الشَّيْخ/ ميرزا حسين البريكي، والعلاَّمة الشَّيخ/ علي اليحيَّا، والعلاَّمة الشَّيخ/ رضي الصفَّار، والعلامة الشيخ رضي إبراهيم المحروس المتوفى عام اثنين وخمسون بعد الثلاثمائة والألف هجري، والعلامة الشيخ أحمد بن عطية، وأمثالهم وهم كُثْر، ولا نستطيعُ حصر أولئك الطلاَّب الَّذين تخرَّجوا

مِنْ مدرسة الإمام الـخُنيزي، ولو أجهدنا أنفسنا فأحصيناهم.. لاحتجنا إلى صفحاتٍ وصفحات.

وأمَّا كرمهُ: فكَان كالسَّحاب المغدق الَّذي ينبتُ العُشب، ويُحيي الزرع منذ وطأت قدمهُ ولكنه في الفترة الأخيرة من عمره عندما اخصوصبت حياته كان إغداقه في تلك الفترة الأخيرة من عمره أكثر مما مضى ولا سيّما في الفترة الاخيرة الَّتي عاشها، فكَانت الحياةُ الاقتصاديَّة خانقةٍ تمرُّ بجزرٍ رهيبٍ، وظلٍّ محسرٍ، بعض الفردُ لا يتحصَّلُ عَلَى رغيفٍ يقتاتُ بهِ، وقَدْ أشرتُ لهذه الفترة البائسة فِيْ كتابي (خيوط مِنْ الشَّمس)، وأعطيتُ عنها صفحةً مِنْ صفحاتِها التَّاريخيَّة المُرَّة، إنَّما أُريدُ أنْ أذكرَ هنا صفحةً مِنْ صفحاتِها لَمْ تُنشر هناك، فكَان أبي فِيْ تلك الفترة الخانقة يُشاركُ النَّاس فِيْ بؤسهم، وهوَ لا يستطيعُ أنْ يسعفهم فِيْ كلِّ لحظةٍ مِنْ هذه اللَّحظات المريرة، فاهتدى بفكرتهِ الثَّاقبة.. وبعونٍ مِنْ ربِّهِ، إلى مصدرٍ يقرضهُ طيلة الشّتاء القاسي المجدب، ويُسدِّدُهُ فِيْ الصيف المخصب عند جذاذِ ثمر النخل، فالحاج/ رضي ابن الحاج ناصر الشماسي[1].. يدفعُ عنهُ بأمرٍ منهُ للفقراء مَا يأمرهُ

---

(١) روى لي السَّيِّد حسين السَّيِّد هاشم.. المولود في يوم الثالث عشر من شهر رجب، عام واحد وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف هجري.. أنَّهُ سمع من الحاج رضي الشماسي: إنَّ أبي رتَّب معهُ طريقة القرض منه، وتحويل الفقراء عليه=

أبي بدفعهِ لهم، فِيْ أوامرٍ تأتيهِ فِيْ عِدّة مذكراتٍ تُحدِّدُ المبلّغ، واسِمُ الفقير الَّذي يُدفعُ إليهِ، وكذلك محمَّد صالح ياسين النهَّاش.. خطَّط له أبي التخطيط الَّذي رسمهُ للحاج/ رضي الشماسي بإعطاء أهل الموتى الفقراء أكفاناً لموتاهم، لأنَّهم لا يستطيعون أن يبتاعوا كفناً لأمواتِهم، فهم عاجزون عَنْ ابتياع رغيف يسدُّون بهِ جوعتهم، فكيف بهم يبتاعون قطعةٍ مِنْ القماش، وسمعتُ مِنْ فمِ أبي هذه المقولة[1] جزى الله خيراً الحاج/ رضي الشماسي.. ومحمَّد صالح ياسين النهَّاش لقرضهما إيايَ تلك المبالغ، ومعاونتهما لي فِيْ سبيل الخير، وصبرهما عليَّ حتَّى تسديد ما أقرضوني إياه.

وقَدْ روى لي المرحوم ابن الأخت/ السَّيِّد أحمد السَّيِّد

=من ذلك القرض، حتى بلغ ذلك العطاء المقسم على الفقراء «مائتان وخمسون روبية» منها خمسون روبية صرفها أبي على بيتهِ الخاص، ومائتان قُسمت بأمر أبي على الفقراء، وذلك مبلغٌ يُعتبرُ في ذلك الظرف مكلفٌ وباهظ، ويكملُ روايته السَّيِّد حسين: فيضيفُ إنَّ أبي يوثِّقُ الحاج رضي في المبلغ، وفي الصيف يُسدِّدُهُ ويُلغي الوثيقة، وميلادُ السَّيِّد صحتهُ ما ذكرناهُ هنا روايةً عنهُ، وتاريخ ذكر رواية السَّيِّد حسين لي في يوم السابع عشر من شهر شعبان، عام اثنين وعشرين بعد الأربعمائة والألف هجري.

(١) هذه لمحةٌ مِنْ وقائع تاريخيَّة.. ذكرناها هنا بإيجاز، وهيَ مفصَّلةٌ ومَا يكتنفُ بها مِنْ أحداث فِيْ الجزء الأوَّل مِنْ كتاب «خيوط مِنْ الشَّمس» ص (٢٣٩، ٢٤٠) الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، طباعة مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع.

سعيد العوامي.. المتوفى فِيْ الثاني مِنْ شهر محرم، عام اثنين بعد الأربعمائة والألف هجري، قصَّةً تدلُّ عَلَى كرم الإمام وعطْفهِ عَلَى البائسين.

وهيَ كما رواها.. يقول السَّيِّد أحمد «كنتُ جالساً ذات ليلةٍ قارةٍ مع الإمام الخُنيزي وابنهِ الشَّيْخ/ حَسَن الخُنيزي فِيْ بيت الإمام الشمالي.. فإذا بالباب يُطرق، فاستجاب إلى الطرقِ ابنُهُ، ونزل السلم إلى الطَّارق، ولكنَّهُ عاد لتوّهِ وقال لأبيهِ.. إنَّ بالبابِ شخْصاً لَمْ أستطع أنْ أتعرَّف عليهِ، لالتفافه بعباءتهِ.. ولَمْ أرَ منهُ إلاَّ عينيهِ ويتكلَّمُ همْساً، وطَلَبَ مني مقابلتك، فقام الإمام ونزل لهُ.. فعاد وعَلَى أساريرِ وجْههِ ضبابٌ مِنْ الحزن والأسى، فطوى تلك السجادة المفروشة بالإيوان، ودخل إلى مستودع الأثاث وأخرجَ قدرين يستعملانِ للطهي، وأنزلهم بيدهِ إلى آخر السلم، وقال لهُ بع هذا الأثاث وأنفق ثمنهُ عَلَى عائلتك، ولَمْ نعرف الشَّخص.. ولَمْ يخبرنا عَنْ اسمهِ أو شخصيَّتهِ، وعندما ألححنا عليهِ، اكتفى الإمام الخُنيزي بتعبيرٍ مختصرٍ موجزٍ - هذا شخْصٌ خذلتهُ الدُّنيا - وزوجهُ قَدْ ولدت لهُ اليوم طفلاً.. وليس فِيْ بيتهِ مِنْ حطام هذه الحياة شيءً، وجاءني فِيْ ظرفٍ معصوصبٍ، لا أملكُ نقداً.. فبماذا أسعفهُ إلاَّ بهذه الطريقة.

وروى لي الأخ الشَّيْخ/ حَسَن (عندما مات والدُنا وجدتُ

فِيْ سجلاَّتهِ عطايا، يُقسِّمُها عَلَى البائسين والفقراء مِنْ التمرِ ثلاثمائة قَلَّة.. دون العطايا مِنْ النقود والمرتبات الشهرية، الَّتي يُقسِّمُها عَلَى المحتاجين مِنْ أسرتهِ وغيرهم».

كما روت لي السيدة حبَّاب إسماعيل سعود أبو السعود عندما انتهيا أبواها من همٍّ هذه الحياة وبقيت يتيمةً بائسةً لا كافل لها أرسل لها أبي لتعيش في بيتهِ مع عائلتهِ وتضيف أنه عاملني معاملةً كمعاملةِ بناته وعدَّني واحدةً منهنَّ لا يفرق بيني وبينهنَّ في المعاملة واللباسِ والغذاء وحتى بلغ به اللطف والكرم عندما طلب من السيد/ حمزة أن يبتاع لي لحافاً من القطنِ والقماشِ مثل اللحافِ الذي أُبتيعَ له قبل يومين وهذه أقصى الرعاية حتى أحسستُ كأني لم أفقد والديَّ بل عشت في عيشةٍ أحسن من العيشةِ التي عشتها تحت ظل أبي وبقيتُ عنده مدللةً منعمةً حتى زوجني وقالت كم شخص يتمنى أن يفقد والده ويعيش تحت ظل الإمام الشيخ أبو الحسن وهذه الرواية سمعتها من فمها بتاريخ يوم السبت الموافق الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر عام أربعةٍ وعشرين بعد الأربعمائة والألف هجري الموافق الحادي والعشرين من شهر يونيه عام ألفين وثلاثة ميلادي.

كما سمعتُ تأييداً لمقولتها الأخيرة من عبد الجليل الزهيري لأنه تربى عنده وهو يتيم والشاعر محمد سعيد الجشي (أبو رياض) وقد أشرت لهذا في كتابي (خيوط من الشمس).

العالِم الأديب

فِيْ رأيي: إنَّ العلْم لا ينفكُّ عَنْ الأدب.. والأدبُ لا ينفكُّ عَنْ العلْم، وإنَّ للأدبِ مفهومان هما (مفهومٌ خلقي) تتجلَّى صفاتٌ فِيْ الإنسان.. كالحلمِ والأناتِ والكرمِ.. ومَا يماثلُها مِنْ الصَّفات الكريمة، والعلْمُ إذا لَمْ تشتملُ عليهِ تلك الأخلاق، فمصيرُ صاحبهِ الإخفاق فِيْ ميدان الحياة، بل تتعدَّى إلى الإنسان البسيط.. إذا لَمْ يتحلَ بها، فمصيرهُ الضياع.

أمَّا المفهوم الأدبي فهوَ: طاقةٌ عقلية، وحاسةٌ فنية.. يُميِّزُ بها الأديبُ الفحم من الجوهر، والذهب من النحاس، يُحلِّلُ التَّاريخ، ويُغربلُ الأحداث.. ويُصحِّحُ وقائعها، وينقدُ أحداثها، ويُصوِّرُ ما في صفحاتِها، ويتغلغلُ في آفاقِها.. فيرسمُ صوراً من الحقائق من دنيا تاريخها وأشعارِها، فهل كلَّ عالِمٍ أديب..؟! لا شكَّ في احتياج العالِم إلى طاقةٍ يُميِّزُ بها الأحاديث النبوية، ويُصحِّح سندها ويحقق في رواتها فيضعف

تلك الروايات ويصحح ما وصل إليه تحقيقه في تلك الروايات أو يُضعِّفُها بعد أنْ يقرأ علم الرجال، ولابُدَّ لهُ من طاقةٍ عقليةٍ حتَّى يفهم كتاب الله، وما تحملهُ التفاسير عن آياتهِ وصورهِ، والمحكم منها وغير المحكم فقَدْ يكونُ العالِمُ أديباً في هذا الأفق الَّذي لا ينطلقُ منهُ العالِم إلى غيرهِ.

أمَّا العالِمُ الأديبُ.. فهوَ الَّذي لا يتقوقعُ في محيطِ دراستهِ، وبعد انتهائه من الدراسة، فلا يبقى في ذلك السِّياج ولا يعيشُ بين جدرهِ.

ولكنَّ العالِم الأديب.. انطلاقةٌ كالضوءِ الَّذي لا يحجبهُ ستارٌ، ولا يقفُ دونهُ رتاجٌ.. فهوَ حركةٌ تسايرُ الحياة في تجدّدها وتطوّرها، ويزنُ بحاستهِ الفنية فنون الأدبِ، والشِّعْرِ ووقائع التَّاريخ، فأبي رمزٌ ينطبقُ عليهِ مفهومُ هذا التعريف بكل ما فيه من معنى، فهوَ العالِمُ الكبير المؤلِّف، والأديبُ الذوَّاقَ، والمؤرِّخ الَّذي يُميِّزُ وقائع التَّاريخ.. ويعرفُ صدقها من مكذوبِها، وهوَ ذو الحاسة الفنية الَّذي يقيسُ الشِّعْرَ بموازينٍ فكرية دقيقة.. لا ينفرُ من قديمها أو جديدها، فتراهُ يحفظُ شريحةً من الشِّعْر الجاهلي، حتَّى عصْرهِ «القرن العشرين».

ولعلَّها تصلُ إلى خمسةِ آلافِ بيتٍ أو أكثر، مضافاً إلى بعض متون الكتب العلمية، كمتن ألفية ابن مالك، ومتنِ

الحاشية في المنطق وغيرها مِنْ الكتب والشواهد والأحداث التَّاريخيَّة.. فهوَ ذاكرةٌ مِنْ ذاكرات التَّاريخ الواعية.

وهذه الحافظة لا تتقوقعُ على نفسِها.. بل هيَ مأدبةٌ يعيشُ عليها كل من يرتاد نادي الإمام أو مسجدهِ، وكما صورناهُ في حركتهِ (العلْمية والأدبية والتَّاريخيَّة) يُعلِّمُ العلماء ويشرح لهم ما هوَ في اختصاصِهم بلغةٍ علميةٍ، ويُعلِّمُ الأُدباء ومَنْ يعشق التَّاريخ بلغةٍ فنيةٍ، وأسلوبٍ تاريخي يُبسِّطُهُ في حروفٍ تشرحُ الأحداث، وتوصلها للإفهام، فكان رحمهُ الله في أكثرِ تأليفه.. يُملي الحوادث والوقائع بدون أن يرجع إلى كتابٍ حين إملائها، وعندما يُراجعُ مظانها تنكشفُ مطابقةً لحافظةِ ذاكرتهِ، لا تباينُها إلاَّ نادراً في خلافِ بعض الألفاظ لا المعاني، وإذا شرح مفاهيم الشِّعْر أو التَّاريخ.. لا تكادُ تتصوَّرُ إنَّ هذه الشَّخصيَّة، الَّتي حلَّقت في ذروة علم الفقه والأصول، إلاَّ أنَّها تخصَّصت في هذا الفن فهوَ في أي ناحيةٍ من النَّواحي الفكرية والعلمية، تراهُ قَدْ تخصَّص فيه بما يُعطيك من طاقاتٍ على استيعابهِ وشرحهِ، الَّذي يُفهمهُ ويوضحه للَّذين يُعلِّمهم، قَدْ يكونُ العالِمُ أو المفكِّرُ يستوعبُ ويفهمُ ما درسهُ، أو ما قرأهُ، ولكنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يُفْهِمَ غيرهُ، فالإفهامُ طاقةٌ فنيَّةٌ غير الدراسة..والتدريس ملكةٌ إفهامية تتميَّزُ بها العباقرةُ في هذه الحياة، وقَدْ شاهدتُ هذه الحقيقة في دروسٍ كثيرةٍ، لَمْ يقدر

الأستاذُ على شرحِها وإيصالِها واضحةً لي أو للطلاَّب من غيري، فنأتي بذلك المشكل العويص.. فيشرحهُ أبي ويحلُّهُ في لحظاتٍ، وهذه المشكلة لَمْ تقتصر عليَّ، فقَدْ رأيتُ العلاَّمتين.. الشَّيْخ/ فرج العمران، والشَّيْخ/ ميرزا حسين البريكي، وهما مِنْ الفضلاء.. يأتيانِ متأبِّطينِ كتابيهما لمساءلة أبي، فيشرحُ ذلك الدرس الَّذي لَمْ يفهماه مِنْ أُستاذِهما.

ولابُدَّ لنا هنا مِنْ إشارةٍ ضوئيَّةٍ لحياةِ أبي الأدبية، الَّتي لمَّحنا لها.. فهوَ الأديبُ الَّذي تتمثَّلُ فيهِ هذه الكلمةُ، ولو قُدِّر لهُ ممارسة كتابة الشِّعْر، لكَان من أكبر الشُّعراء لما يحملهُ مِنْ ذوقٍ سليمٍ، وحاسةٍ فنيَّةٍ.. تُميِّزُ الغثَّ من السمين، ولما منحه الله من موهبة طبيعية شاعرية فموازنتهُ الفنيَّة بين شعْر الشَّريف الرضي والمتنبي، تدلُّ على ذوقٍ دقيقٍ، ومعرفةٍ بعيدة المرمى، فهوَ يرى أنَّ جيّد شعْر الشَّريف الرضي أكثرُ من جيّد المتنبي، ولكنْ جيّد الشَّريف لا يصلُ لرتبة جيّد المتنبي، هذه المقولةُ سمعتُها منهُ وهوَ يشرحُ لنا، ويوازنُ بين المتنبي والشَّريف.

وقَدْ تركَ أبي مجموعة من الشعر تتكون من أبياتٍ مِنْ الشِّعْرِ كتبها في ألوانٍ مختلفة، وصوَّر بها آمال وآلام حياةٍ، لَمْ يكن هدفهُ فيها كتابة الشِّعْر.. إنَّما هيَ سوانحٌ وخواطر، تولدت من معاناة نفسية يرسمُها في ذي البيت أو البيتين، أو أكثر.

سأوردُ مَا تحصَّلتُ عليهِ مِنْ شعْرٍ في كتاب «ذكرى الإمام

الـخُنيزي» لمؤلِّفه العلاَّمة الأُستاذ الشَّيْخ/ عبد الله الشَّيْخ علي الـخُنيزي، المطبوع في المؤسسة العالميَّة للكتاب، الطَّبعة الثَّانية.. مزادةٌ ومنقَّحةٌ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

العالم الشاعِرُ

«كيف أنساك»

هذه أبياتٌ سكَب فيها أبي قلبهُ، في تأبينِ ابنهِ العلاَّمة المرحوم الشَّيْخ/ حسين:

كـيـفَ أنسـاكَ حُـسـينـاً

وفُـؤادِيْ لـكَ قـبـرُ؟!

لَـسْـتُ أنـسـاكَ، وفـيْ الأحـشـ

ـاءِ - مِـنْ فـقْـدِكَ - سـعْـرُ!

لَـسْـتُ أَنـسـاكَ - حـبـيـبـيْ!

مـا بَـقِـيْ عـمـرٌ وفـكْـرُ...!

* * *

«شخْصُك لا يزالُ ماثلاً»

وهذه سيمفونيَّةٌ حزينة.. يرثي بها ابنهُ الشَّيْخ/ حسين الَّذي أشرنا لهُ في الأبيات السابقة:

بِفَقْدِكَ - يا حسينُ! - فَقَدْتُ أُنسِيْ
وفـارقَـنِـيْ سُـروريْ وارتـيـاحِـيْ!
وَلاَ يـنْـفَـكُّ ذِكْـرُكَ مِـنْ لِـسَـانِـيْ
بِـلَـيْـلٍ، أو غُـدُوٍّ أو رَوَاحِ
وَلَـيْـسَ يَزَالُ شَـخْـصُـكَ فِـيْ خيَـالِـيْ
بِـلَـيْـلٍ، أو مَـسَـاءٍ، أو صَـبَـاحِ

* * *

.. أتنعاهُ؟!

هذا البيتُ يحاولُ فيهِ أبي: أنْ يوهم نفسهُ أنَّ نعي ابنهِ الشَّيْخ/ حسين.. لَمْ يكن واقعيّاً، وهكذا كلُّ مَنْ فقد حبيبهُ يُغالطُ نفسهُ في خبرِ موتهِ، كما قال أبو الطيِّب (فزعتُ فيهِ بآمالي إلى الكذبِ):

أَتـنـعـاهُ بِـجـدٍّ أو مـزاحِ
فـنـفـسُ الـخَـلْـقِ تُـؤْذِنُ بـالـرَّواحِ

* * *

ويُعقِّب أبي في رثاءِ ابنهِ.. فيأتي بصورةٍ متحرِّكةٍ تُجسِّدُ اللَّوعة والخطب، حتَّى امتزج لونُ الصَّباحِ بظلمة اللَّيل، وهكذا الثَّاكلون يعيشون في دنياً من الحزن.. يتساوى في أفقِها النَّهارُ واللَّيل، وهذا تصويرٌ رائع:

غَـشَــتْــكَ دجـنّـــةُ الأرزاءِ حــتَّـــى

تَــشَــاكــلَ لــونُ لــيـلِـكَ والــصَّـبـاحِ

* * *

«ينتظر الرَّاحة فِيْ حتفهِ»

وهذان البيتان: كتب مقدَّمةً لَهما هذه الجملة ـ بقلمهِ:

(في بعض أُمراء العرب، حيث أَنِسَ بمدِّ الدَّولة البريطانيَّة لهُ، ببعض الأسلحة والهدايا والتُّحف، والمدافعة عنهُ) وقَدْ تحقَّق بعد أيَّامٍ مصداقُ هذين البيتين:

ســوف تــراهــم، قَــدْ أدالــوْا لــهُ!

وانــتــزعــوا الــسُّــلـطـانَ مِـنْ كـفِّـهِ!

وأنــزلــوهُ فِــيْ حَـضـيـضِ الــثَّـرى!

يَــنــتــظــرُ الــرَّاحــةَ فــيْ حــتــفِــهِ!

* * *

«بقاءٌ عَلَى الرَّشاد»

هذانِ بيتان قالهما أبي في آخرِ أيَّامِ حياتهِ، ولعلَّهُ يُشيرُ بهما لانطواءِ كتاب حياتهِ، وغروبِ شمْسهِ، وقدْ أعطيتُ لمْحةً عنهما فِيْ كتاب (خيوط من الشَّمس):

كُــلُّ بُــعْــدٍ ســوى الــمــقــابــرِ قُــربٌ

وفــراقٍ بــغــيــرِ مــوتٍ لــقـــاءُ

وبــقـــاءٍ عَــلَــى الــضــلالِ فــنــاءُ

وفــنـــاءٌ عَــلَــى الــرَّشــادِ بــقـــاءُ

* * *

«قَدْ يطلبُ المرءُ السَّعادةَ»

هذا مقطعٌ مِنْ الشِّعْرِ.. يرسمُ أبي فيهِ صورةً متحرِّكةً مِنْ حياة الإنسان.. في هذه الحياة الفانية، وكيف تنحلُّ آمالهُ كما ينحلُّ الضَّباب تحت وهج الشَّمس، فاستمع لهُ:

قَدْ يطلبُ المرءُ السَّعادة والقضَا

يأْبى عليه ... والقضَا غلاَّبُ!

ويظنُّ فيْ بَرْق الأمانيْ وابلاً ...

إنَّ الأمانِيْ بَرْقُهَا خَلاَّبُ!

ويَرَى بِأنَّ الدَّهرَ يُنجزُ وعدَهُ ...

والدَّهرُ ـ فيْ ميعادِهِ ـ كَذَّابُ!

* * *

«كأسُ الخطبِ تقهرُ»

إنَّها نفثةٌ حزينة.. تصوِّرُ مأساتهُ فِيْ فقدِ ابنهِ حسين:

قضَى فيها حُسينٌ فانتشونَا

بِكأْسِ الخَطْبِ: سكرانٌ، وصاحِي

ولا عـجـبٌ! إذا سَـكـرَ الـسُّـكـارَى

فـراحُ الـخَـطـبِ تـقـهـرُ كـلَّ راحِ!

* * *

«فذي نفسي تسيلُ مِنْ الجفون»

تصوَّر معي أيُّها القارئ.. هذا اللحن الحزين، فيْ صورةٍ شعْريَّةٍ مأساوية، تتحرَّكُ عاطفةً أبوية، وتُجسِّدُ اللَّوعة في صورةٍ حيَّة، وأسلوب شعْرٍ فنيٍّ فيْ ذروة الشِّعْر:

مُـصابُكَ ـ يا حسـينُ ـ أذابَ قَـلْـبِـيْ

وأجـرَى الـدَّمـع أحـمـرَ مِـنْ عـيـونِـيْ

وَقَـوْلِـيْ: الـدَّمـعُ تَـخـيـلٌ ووهْـمٌ

فـذِيْ نـفـسِـيْ تَـسـيـلُ مِـنَ الـجـفـونِ!

* * *

«لَمْ يقرْ»

وبـهِ الـسُّـقـمُ لـوْ يـنـالُ ثـبـيـراً

بـعـضُـهُ لـمْ يـقـرْ، وزالَ ثـبـيـرُ!

يصوِّرُ لنا هذا البيت عاطفةً.. تُشيرُ حروفها إلى مآسٍ عميقةٍ، لَمْ يُعيِّنها هذا القول، بل تركها في صورةٍ مبهمةٍ، والإبهام قَدْ يكونُ أبلغُ مِنْ التعيين، وهو تقليد للقرآن وقَدْ استعمل القرآن الكريم هذا الأُسلوب البليغ قال تعالى «فغشيهم من اليم ما غشيهم»، لأنه في صيغه أعظمُ

أسلوبٍ. بليغ. لا يصلُ لهُ البلغاء، مهما أوتوا مِنْ طاقاتٍ عبقرية، وإنَّما يتعلمون منهُ دروساً، ويقتبسون مِنْ أشعتهِ:

أنواراً لأنه تنزيلٌ من فاطر السماوات والأرض وخالق العقول.

***

«أين المنيرُ»

هذه نفثةٌ مِنْ نفثاتهِ الحارة.. الَّتي ينثرُ فيها العيون، وهل شيءٌ أعظمُ مِنْ نثر العيون الباصرة؟!! الَّتي تصوِّرُ النّور والدُّنيا برحابها، ولكنَّها العاطفةُ الحزينة الَّتي تتوجَّع على فلذة مِنْ فلذاتِها:

ونــثــرنَ الــعــيــونُ درّاً ... ولــكــنْ

قَــدْ أَبــتْ أنْ تُــزانَ ـ فــيــهِ الــنُّــحــورُ!

وكسَــى الأُفــقَ ظلــمــةُ الــخــطــبِ حتَّــى

قــيــلَ: أيــنَ الــمــنــيــرُ والــمــســتــنــيــرُ؟!

***

«حُسْنُ الذكرِ مخلِّدٌ»

هذه عاطفةٌ تصويرية.. كالعواطف السَّابقة فِيْ تأبينِ ابنهِ:

ومَــا ضــرَّه أنْ مــاتَ! والــكــلُّ جــازعٌ

عــلــيــه وحــســنُ الــذِّكــرِ مــنــهُ مــخــلَّــدُ؟!

***

«مَا شابت لَهُمْ هممٌ»

هذان بيتان يُصوِّرانِ طموح الإنسان، وليس كل إنسان.. إنَّما الإنسانُ الَّذي يمرُّ بخريف الحياة، ولا تزالُ أفكارُهُ في عطاء الرَّبيع، ويتعاطى مع الحياة.. كأنَّهُ فيْ ريعان الشَّباب:

شـابُـوْا ... ومَـا شَـابَـتْ لَـهُـمْ هِـمَـمُ!

هـرمـوْا ... وَمَـا هـرمَـتْ لَـهُـمْ فِـكَـرُ!

نـحفُـوْا ... وَمَـا نـحفَـتْ لَـهُـمْ شِـيَـمُ!

نـحلَـوْا ... ومَـا نـحلَـتْ لَـهُـمْ غِـيَـرُ!

* * *

«أُسّرُّ»

هذا بيتٌ يُصوِّرُ معاناةٍ نفسيَّة ويُروَى عجزه بصيغتين:

أُســرُّ بــهــذَا الـيــومِ، لاَ لِـسُـعُـودِهِ،

ولـكـنْ لِـدَفْـعِ الـلـهِ مَـا كـانَ أنْـحَـسَـا!

أُســرُّ بــهــذَا الـيــومِ، لاَ لِـسُـعُـودِهِ،

ولـكـنْ لِـدَفْـعِ الـلـهِ مَـا كـانَ أعـظـمـا!

* * *

والصيغة الأخيرة سمعتها من فم قائلها أن لم تخنِ الذاكرة.

* * *

«لا يأخذُ»

هذا بيتٌ يُصوِّرُ الواقع، ولكنَّهُ للنَّظمِ أقربُ مِنْ الشِّعْر:

لاَ يــأْخــذُ الــمــرءُ، سِــوَى رزقِــهِ

ولــيــسَ لــلــمــجــهــدِ، إلاَّ الــعَــنَــا!

❋ ❋ ❋

«لربِّي المفرْ»

هذان البيتان يردُّ بهما على عمر الخيام، ليُصحِّح مفهومهُ الخاطئ، وبيتا الخيام مشهوران لدى الأُدباء:

لـبـسـتُ ثـوبَ الـعـيـشِ، لـمْ أُسـتَـشـرْ

فـيـهِ، قـضـتـهُ حِـكـمـةُ الـمُـقْـتَـدِرْ

وســوفَ أنــضــوْهُ بِــرغــمِــيْ، وقَــدْ

أدْريْ لِـمَـا جـئـتُ، لـربِّـيْ الـمـفـرْ

❋ ❋ ❋

«يا رامياً»

هـذان البيتـان عارض بهمـا بيتي ابن الآلوسيِّ في كتـاب تجريد الطُّوسيِّ:

قَـدْ فَـاقَ تـجـريـدُ الـنّـصـيـرِ بـحـسـنِـهِ

فـيْ مـبـدءٍ، يـتـلـوْهُ حُـسْـنُ الـخَـاتـمـةْ

يـا رامـيـاً! بـالـسُّـوءِ حُـسْـنَ خِـتـامِـهِ!

الـسُّـوءُ فـيـكَ! فـخـلـتَـهُ فـيْ الـخَـاتـمـةْ!

* * *

«وَإِذا نَطقْتَ»

هذه الأحرف تُجسِّدُ آداب أخلاقٍ، اقتبسها مِنْ قول الإمام عليٍّ عليه السلام:

مَـا دُمْـتَ لَـمْ تَـنـطِـقْ، فـإِنَّـكَ مَـالـكٌ

وَإِذا نَـطـقْـتَ، فَـإِنَّـك الـمـمـلـوكُ!

* * *

«كَمْ بقيَتْ»

هذا البيت يُمثِّلُ طموحات الإنسان، وآمالِهِ الَّتي لا تنتهي، حتَّى يوسَّد فيْ ثرى رمسهِ:

كَـمْ بـقـيَـتْ ـ فـي الـنَّـفـس ـ مِـنْ حَـاجـةٍ

لاَ تـنـقـضِـيْ لـلـمـرءِ، حـتَّـى الـمـمـاتْ!

* * *

«الفِكرُ»

هـذا بـيـتٌ فـلـسـفـيٌّ.. يـعـرضُ لـلـحـيـاة الـمـاضـيـة، ولـلـحـيـاة المستقبلية:

الـفِـكـرُ فـيْ مَـا قَـدْ مَـضَـى ضـائـعٌ!

كـالفِكْـرِ فيْ الـمستقبـلِ الـمستـحيلْ!

❋ ❋ ❋

«كُنتُ الغَريق»

هـذا بيتٌ يتضمَّنُ معنىً مِنْ معاني العلماء، وهو الدَّورُ.. ولكنْ جاء فيْ صورةِ شعْرٍ:

وَلـوْلاَ دُمـوعِـيْ لاَحترقْتُ مِنَ الـجوَى!

وَلوْلاَ الـجوَى كُنتُ الغَريقَ مِنَ الدَّمعِ

❋ ❋ ❋

«صون اللِّسان»

هذان البيتان فيهما تعاليمٌ خلقية، وإيمانٌ يتغلغلُ بصاحبهِ إلى الخوف مِنْ فاطر السَّماوات والأرض.. إلاَّ أنَّ صدر البيت الأوَّل مختلُ الوزن، ولا أدري.. هل هوَ خطأٌ مِنْ النقل..؟!

وأَصُـونُ الـلِّـسـانَ مـنِّـيْ عَـنِ الـكِـذبِ

مثـلَ صَـوْنِ الـمَـليـكِ عـاصـمـةَ الـمـلْـكْ

وأخـــافُ الإلـــهَ: سِـــرّاً، وجـــهـــراً

مِـثْـلَ خَـوْفَ الـرِّيـاحِ مَـنْ رَكِـبَ الـفُـلْـكْ

... ولعلَّهُ هكذا:

وأَصُونُ اللِّسانَ منِّيْ عَنِ الكِذبِ
كصَوْنِ المَليكِ عاصمةَ الملْكْ

* * *

«لِلُطْفٍ»

هذه الحروف فيها معارفُ، ونفحاتٌ روحية، تصوِّرُ لنا ألطاف الله، وفضلهُ على عبيدهِ:

يُريدُ العَنَا دونَ الغِنَى، ولهُ الفضْلُ
ويمنعُنَا، والمنْعُ منْهُ هُوَ البَذْلُ
لِلُطْفٍ خَفيٍ: منْعهُ، وعطاؤُهْ
ينوءُ، ويكبُوْ دونَهُ الفِكْرُ والعَقْلُ

* * *

«عيشُ الشَّباب»

هذان بيتان فيهما ذكرياتٌ حلوةٌ مِنْ أيَّام الشَّباب، ومرةٌ مِنْ ظلال المشيب:

عيشُ الشَّباب هَنيئٌ، لاَ يُحَسُّ بهِ
وفيْ المشيبِ يجيئُ الحِسُّ والنَّكَدُ
فالمرءُ - فيْ العمر - لا وَقتٌ للذَّتِهِ
فالعيشُ لَيسَ بهِ: صفْوٌ، ولا رغَدُ

* * *

«جرى الوفاقُ»

هذانِ البيتان مِنْ النَّظمِ.. لا مِنْ الشِّعْر، ويصوِّرانِ خيال الفقهاء:

رأيتُ الرِّدفَ، أنحلَ خصْرَ ليلَى
وكلَّفَهُ بِأَمرٍ لاَ يُطاقُ ...!!

فقلتُ لَهُ: أتَى هذَا بِشرعٍ؟!
فقالَ: نَعمْ! وفيهِ جَرى الوِفاقُ

* * *

وقَدْ عارض أبي الإمام الخُنيزي الشَّاعر/ ابن الجهم (شاعر المتوكِّل.. الملك العباسي) الَّذي قتلهُ ابنُهُ مع وزيرهِ/ الفتح بن خاقان، وهما على المائدة الحمراء، فتناثرت لحومهما فيْ الكؤوس، وكَان معهما الشَّاعر/ البحتري.. فنجا مِنْ الموت بأعجوبة:

ورافضةٌ تقولُ: بِشعبِ رضوى
إمامٌ - خَابَ ذلكَ مِنْ إمامِ

إِمامِيْ مَنْ لهُ سبعونَ أَلفا
مِنَ الأتراكِ نافذةُ السِّهامِ

* * *

«ولهُ»

فأضافَ لَهما الإمام هذين البيتين بِمَا يتلاءم وحياة المتوكِّل الدَّاعرة:

وأمـردُ: وَجــهُــهُ قــمــرٌ مــنــيــرٌ
مَـلـيـحُ الـشَّـكـلِ، مـعـتـدلُ الـقـوامِ

وَتُـنْـشَـى عـنـدَهُ الـنَّـغـمـاتُ دَوْمـا
وَتُـجلَـى الـخـمـرُ فـي: قـدحٍ، وجـامِ

* * *

«تعليقٌ»

هذه نماذجُ شعْريَّةٍ مِنْ ألوانِ صورٍ مختلفة.. ولَّدتها المعاناة النفسيَّة، والآلام الحياتيَّة، فسكبتها تلكَ الرُّوحُ فيْ حروفٍ تناغمُ بالألم العبقري، ولَمْ تأتِ بمجردِ حُبِّ النَّظم للشِّعْر، إنَّما كانت خواطراً.. أوحتها الظُّروف المأساويَّة، الَّتي تُخفِّفُ وطأة تلك المأساة، عندمَا يُسجِّلُ الشَّاعرُ أو الكاتبُ تلك المأساة، فيْ حروفٍ باكيةٍ.. فتُخفِّفُ مَا تراكم فيْ آفاقِ نفْسِهِ، ومَا ضبَّبتهُ الحياة مِنْ شجونٍ بطَّنت سماء تلك الرُّوح.

فالشِّعْرُ.. كالبلسمِ لتلك الأحزان، تنحلُّ كما ينحلُّ الضَّبابُ تحتَ وهج الشَّمس، فيستريحُ ذلك الشَّاعر مِنْ وهجِ هذا

الألم، بنفثاتٍ ينفثُها فيْ حرفٍ يُجسِّدُ مَا يُعانيه، وهذا هوَ الشِّعْر.. وذاك هوَ الشَّاعر.

لعلَّك يَا قارئي قرأتَ مَا أشرتُ إليهِ، مِنْ تحليلٍ وتعليقٍ على هذه النَّماذج الشِّعْريَّة، فتوافقُني.. وأنتَ تقرأُ شعْر الإمام الخُنيزي، أو مقاطعهُ إنْ صحَّ التَّعبير.. على أنَّها ندَّت مِنْ شفةِ شاعرٍ، لو تفرَّغ لممارسة الشِّعْر، لكان مِنْ أكبر الشُّعراء، بيدَ إنَّ إشغال وقتهِ بالعلم، والتدريس، والمركز الاجتماعي والسِّياسي، ومنصب القضاء، فهذه النقاط الَّتي يدورُ مركزية محوره عليهاِ، وتملأُ وقتهُ.. حتَّى كأنهُ كأْسٌ مُلئِت فتفاوضت، حتَّى لا تتقبَّلُ زيادةً لها، فهذا هوَ العالِم الشَّاعر رحمه الله.

ابنهُ العلامة الشيخ حسين:

كان عليَّ لزاماً أن أعطي لمحة عن الشيخ/ حسين أخي لأنني لم أتحدث عنه في خيوط من الشمس لأنه مات في حياة أبيه في غرة محرم في عام ألف وثلاثمائة وأربعة وأربعون هجرياً وكان لفقده لما يتمتع به من علميةٍ ترتفع به إلى فضيلةٍ مرموقة وأخلاقٍ وإيمان فراغٌ في مجتمعه القطيفي وتأثير مِمض في أعماق نفس والدهِ كما يصوره لك الشعر التأبيني الذي تفايض دموعاً وعواطف من أبيه فحسينٌ كان ذكياً مؤمناً لم تغريه مُتَعِ الحياةُ فهو غارِقٌ في زهدٍ وقناعةٍ برغمٍ عمره الربيعي

الشباب والشبابِ يفتنُ ويُغري صاحبهَ بمفاتنَ الحياة وقد وُلِدَ بهِ في السابع من شهر رمضان المعظم سنة ألف وثلاثمائة وأربعة وعشرين هجرياً مع أخته فاطمة وكانا صنوانينِ من أمهمَ غير والدتنا المصونة زوان بنت أحمد آل الزاير وهما أخواي من أبي وقد تربى حسين تربيةٍ إسلاميةٍ ودرس على يد أبيه فهو أستاذه الوحيد لم يتلمذ على يدِ غيرهِ فتحصل على فضيلة من دراساته في محيط القطيف وكان شعلةً تتوقدُ مِنْ الذكاءِ وحركةً سريعةً في المجالَ العلمي وقد كتب عنه والده لمحةً عن حياته ونشاطه الفكري ودوره العلمي فهو يعدُ من الفضلاءِ الأذكياءِ الذين حازوا على فضيلةٍ يشارُ لها بالبنان وقد اختاره الله في غرة محرم عام الرابع والأربعين بعد الثلاثمائة والألف هـ أما أخته فاطمة فقد توفاها الله عام ثمانية وخمسون بعد الثلاثمائة والألف هجري ولم أشر لهما في خيوط من الشمس لموتهما في حياة أبيهما وكان الشيخ حسين إذا قامَ واحدٌ من أخوته الأشقاء بعبث في البيت فلا تستطيع والدته معاقبته لتمرده وقوته عليها فتأتي أمهم إلى الشيخ حسين فتنزل العقاب به وكان لإيمانه وبره بأمه يتثمل لها.

«أماه»

غيري جنىَ وأنا المعاقبُ فيكمُ

فكأنني سبابةُ المتندمِ

فهذا الخلق وما يكتنفه من قصة رواها لي أخي العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي رحمه الله وأضاف وأنا أحد الذين يعبثون فلا ينالني العقاب كما طلب مني ثلة من الأدباء أن أشير لما أنجبه الإمام أبو الحسن الخنيزي من أولاد وما تزوج بهن من زوجات وإن ذاكرتي التاريخية لم تتحصل على هذه المعلومات كاملة وإنما أشير لما حوته الذاكرة التاريخية من أخبار عن هذه الظاهرة الحياتية لأبي فقد أنجب من والدتنا المصونة عبدة العلي عبد الله الراشد الغانم والذين أختارهم الله منصور، محمد صالح، عبد العزيز، محمد تقي، والعلامة الشيخ حسين وفاطمة قد أشرت لهما المتولدين من المصونة زوان أحمد آل الزاير كما تزوج أبي زوجة لما كان مهاجراً لطلب العلم في النجف الأشرف في العراق زوجة عراقية من قبيلة عريقة في المجد يتصل نسبها بآل الرسول وأسمها علوية وقد أولدها ولداً أسماه أحمد وبنتاً أسماها زكيه ولكن الله اختارها في القطيف بعد نزول أبي من رحلته العلمية ولحقا بها ولديها في حياة أبي كما تزوج أبي أول زوجة له فماتت وهي في دور الطلق مع جنينها وهي بنت خاله العلامة الشيخ محمد علي آل عبد الجبار فيكونَ زوجاته خمس زوجات، إلا أنه اختاره الله وفي عصمته زوجتين والدتي وبنت الحاج بيات أبو السعود وقد أشرت إليهما في كتابي خيوط من الشمس ولم

تجتمع عنده على صعيد رباط الزوجية إلا ثلاث زيجات،
وقبل أن أختتم هذه اللمحة التي كانت كصفحة سجلٍ لما
أنجبه أبي وأخذني الحديث فنسيت ما أشار له أخي العلامة
الشيخ عبدالحميد عن حياته مع إخوانه في محيط البيت
والتعامل التربوي مع أمهم فكانوا يخضبون مع أمهم الشيخ
وخواته فيضربونها ما عدا الشيخ حين لأنه يعرف حق الوالد
فينهزمون من بين يديها فتشبع الشيخ حين ضرباً فيخاطبها بلغةٍ
مؤدبةٍ يا أمي.

غـــيــري جـــنـــا وأنـــا الـــمـــعـــاق

وكـــأنـــنـــي ســـبـــابـــةُ الـــمـــتـــنـــدمِ

وأشير إلى رؤية رآها العلامة الأستاذ الشيخ ميرزا حسين
حسن البريكي لأنه من تلاميذ الأخ الشيخ/ حسين ومن أترابه
في السن وهذه الرؤية قصها على والدي وكنت حاضراً حيث
قال ما معناها إنه رأى الشيخ حسين في المنام وقال له الاستاذ
ما معنى هذه اللام في المقولات التاريخية حيث يعبر
المؤرخون توفى فلانٌ لخمسٍ خلونَ من شهرِ ذي الحجة
فأجابه الشيخ حسين في الرؤية إن اللام هنا بمعنى عند، وهذا
المعنى صحيح وما أصدق هذه الرؤية وقد رجعتُ إلى مغني
اللبيب فوجدت أن الأم بمعنى عند كما قال المرحوم كما
اضيف هنا قصة أخرى تبرهن على ذكائه وعمليته التفاتته

المفاجئة السريعة ورواها لي العلامة الشيخ عبدالحميد كان أحد الخطباء العراقيين يسمى السيد حسن ضيفاً على فراش أبيه وكان الشيخ حسين أحد الذين يتفقدون شؤون الضيف وفي صباح يومٍ أراد الضيف أن يسخر بالشيخ حسين وقال له إعرب زرت زيد في التنور، فلم يضق صدراً بهذا السؤال وعربه زرت فعل ماضي وزيد فاعل وفي التنور جار ومجرور فقال له الضيف في التنور متعلق بماذا وهنا النكتة الساخرة ولكن الشيخ حسن فاجأه بما لا يدور في حسبانه وقال: متعلق بقصتك أي بناصيتك وهي من أشرف موضع في الإنسان، ولعله يشير للآية الكريمة ويأخد بالنواصي والأقدام فبهت الضيف وتمنى أنه لم يقدم هذا المثال للإعراب وصمت صمت الألواح ونكتفي بهذه اللمحة التعريفية عنهم.

مقولة للإمام الخنيزي عن الحياة

كان أبي يفلسف الحياة على واقع ملموسٍ وعلى ضوءٍ من هدي الإسلام فالشرف الرفيع عنده هو التقوى ففيها التفاضل بين شرائح البشر وما خرج عن هذا الإطار فيأتي بعدها كمراتبٍ يقسمها ففي رؤياهُ أن الشعب يمتازُ بالعلم وبالثروة المادية فالشريحةُ الأسروية إذا كان لها مميزات على الأسرة الأخرى تميزها في محيطها الدنيوي كونها اتقى واعلم من تلك الشريحة الاسرويه أو تكثرُ فيها مفكرون من العلماء أكثر من تلك أو لعلها في الصدارة والوجاهة تستعمل صدارتها ووجاهتها فيما يعود على وطنها بالخير والصلاح أو لديها ثروة مادية تبذل ذلك المال في سبيل إنعاش وطنها أو ثروة علمية بلا مال، ولكنها تبذل ذلك العلم في كؤوسٍ شفافةٍ تسقي بها ذلك المجتمع هذه المميزات عنده هي التي ترفع الشعوب وتسمو بها إلى درجات الكمال والعلى وهذه النظرات يؤيدها الواقع والمفكرون وعلماء الأخلاق الذين

يستمدون رؤياهم من التجارب الواقعية الملموسة ولأمانة التاريخ ذكرت هذه المقولة معنىً لا نصاً.

كما يفلسف أبى معاناة الحياة في مقاييس رؤيته حيث يقول إن الحياة تعبٌ ومعاناة في أدوارها فيضرب الأمثال الملموسة حيث يقول إن عيشة المرء بدون زوجةٍ تعبٌ ومعاناة ومع الزوجة تعب ومعاناة ولكنه يقول إن الوجود خير من العدم وهكذا حتى يصل إلى ناحية الجهل والعلم يقول المرء إذا كان جاهلاً يعيش في تعبٍ وإذا كان عالماً يعيش في تعب ومعاناة ولكن الوجود أفضل من العدم وما كان يوماً من الأيام إن العدم يفضل الوجود فالوجود لا يفضله شيءٌ فهو نعمةٌ من الله وفيض على الإنسان ويحلّيه ويزينه التقوى.

العالِم المؤلّف

قَدْ يكونُ الرَّجلُ عالماً، ولا يكونُ مؤلِّفاً.. لأن التَّأْليفَ رسالةٌ ضخْمَة، وطريقٌ طويلةٌ شاقةٌ، مزروعةٌ بالأشواك.. تُدمي أقدامَ مَنْ سار فيها، إلاَّ أولئكَ الَّذين مرُّوا بها وهم يحملون الجلد والأيد في أناةٍ، وفكْرٍ يُضيء لهم عتمة تلك الطَّريق.

إنَّ التَّأْليفَ موهبةٌ من المواهب العبقريَّة، الَّتي يمنحُها الله بفيضٍ مِنْ لطْفَهِ على ذلك العبد، فيمنحهُ هذه الصفة الذَّاتية، الَّتي توصلهُ إلى حياة الخلود، بعد أنْ يفنى هذا الجسدُ المادي، فتبقى أفكارُهُ تشعُّ فيْ حروفٍ تسيرُ مع الزَّمنِ، ومع الشَّمس.. تتجدَّدُ مع تجدُّد الحياة.

فبعدَ هذا التعريف للعالِم المؤلِّف.. هل ينطبقُ مَا فيهِ على الإمام الخُنيزي..؟! بلى.. كان عالماً ومؤلِّفاً، لهُ فيْ عالمِ التَّأْليفِ شوطٌ كبيرٌ، يُجلسهُ على قمَّة صدارة التَّأْليف.

ليس التَّأْليفُ قيمتهُ بكثرة الكم، إنَّما هوَ بالكيْف، فكم

عالمٍ تركَ كمّاً مِنْ الكتب، وهيَ تشبهُ النَّقل من أفكارِ كتبٍ لغيرهِ أو تشبهُ الجمع، فضاعت ولحقت صاحبها فيْ تلافيف الزَّمن وبين جُدران النسيان، وقَدْ يكتبُ عالِمٌ كتاباً واحداً، فيعيشُ ذلك الكتاب يُسايرُ الحياة، وكذلك الشَّاعرُ أو المفكِّرُ.. قَدْ يخلدُ الشَّاعرُ بقصيدةٍ واحدة، ويموتُ مَنْ عنْدهُ دواوينُ شعْرٍ كثْر، ويعيش المفكِّرُ بفكرةٍ جاء بها للإنسانية.. كانت عاملاً وأداةً فيْ تبديلِ الحياة وراحة البشر، كمخترع الكهرباء وأمثالهِ.

فالإمامُ الخُنيزي: كتبَ كتباً تدورُ فيْ أفقِ العلم، كعلم الفقه، وأصول الفقه، والحكمة والفلسفة، وفيْ تصحيحِ بعض النَّظريات الجامحة، وفيْ جمعِ كلمة المسلمين، فهوَ يدعو إلى وحدتهم، وجمعِ كلمتهم، ككتاب «الدَّعوة الإسلاميَّة إلى وحدة أهل السُّنَّة والإمامية».

وقَدْ تركَ ثروةً فكْريَّةً فيْ كتبٍ قيّمةٍ، فيْ ثلاثةِ عشر مؤلَّفٍ، لا نستطيعُ أنْ نعطي عنها دراسةً.. لما فيها مِنْ فكْرِ علْمٍ رفيع المستوى، لا يقدرُ على دراستِها وتحليلها، إلاَّ مَنْ يُماثل الإمام الخُنيزي فيْ تخصّصهِ وعلميتهِ.

ولعلَّنا نلمُ بها إلمامةً قصيرةً، ونشيرُ إليها.. ولكنْ كإيماءة الشَّاطئ إلى شاطئٍ آخر:

١ ـ دلائل الأحكام:

وهوَ يقع فيْ إحدى عشر مجلَّد، منه عشر مجلَّدات طُبعت في مطبعة الآداب بالنجف الأشرف، المجلَّد الأوَّل منها بتاريخ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، والمجلَّد العاشر بتاريخ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، والمجلَّد الحادي عشر طُبع فيْ مؤسسة البلاغ ببيروت بتاريخ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

فهو كتابٌ دَّورة الفقهية، وهوَ كتابُ استدلالٍ يحملُ ثروةً علميَّةً ضخْمة، وأفقاً واسعاً.. يُناقشُ عمالقة العلم ببراهينٍ يستدلُّ بها على مَا يختارُهُ، ويجتهدُ فيهِ بعدَ أنْ يُفنِّد آراء الآخرين، ويؤيِّدُ مَا قام الدليلُ عندهُ عليه، وقَدْ قرَّظهُ كبارُ العلماء، وزعماء الحوزة العلمية، ونذكرُ منهم على سبيل المثال لا الحصر (الإمام الخوئي)، وكان لهذا الكتاب صدًى فيْ الحوزة العلمية في أوساط النجف الأشرف وفي أفق قم المقدسة.

شغل فراغاً، وأعطى ناحيةً فكْريَّةً، ولا سيّما فيْ البحوث الخارجية عند مراجع العلماء الكبار.. نفع الله بهِ العلماء والمتعلمين.

٢ ـ الرضاعية في الإسلام:

هذا كتابٌ لا يزالُ مخطوطاً، وهوَ كتابٌ يبحثُ الرِّضاعة

فيْ الإسلام، وما للرِّضاعِ مِنْ دورٍ خطيرٍ فيْ حياة المجتمع الإسلامي، وما يترتَّبُ عليهِ مِنْ زواجٍ وميراث، والكتابُ فيْ ذاتهِ.. دقيقُ الفكرةِ.. حادُ النَّظرةِ، يقومُ عَلَى البرهان، وقد قرَّظهُ الإمام الآخوند.. وهوَ مِنْ كبارِ ذوي المعرفةِ والاختصاص، فتقريظي بعد تقريظهِ - لا قيمة لهُ - وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً وقد فرغ من تأليفه الإمام الخنيزي في السابع عشر من محرم الحرام عام ألف وثلاثمائة وسبعة وعشرون هجرياً بالنجف الأشرف كما تم الفراغ من نقلها من خط المؤلف بخط أحد الكتاب المعروفين في ذلك العصر هو ملا علي رمضان بمنطقة القطيف في التاسع من ذي القعدة عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وخمسون هجرياً.

٣ - المناظرات:

طُبعت الطَّبعة الأولى عام ١٣٨١هـ بمطبعة النُّعمان.. بالنجف الأشرف، والطَّبعة الثَّانية بمزيدِ تحقيقٍ وعناية، عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.. منشورات مكتبة الأنجلو المصريَّة بالقاهرة، والطَّبعة الثالثة بمزيد تحقيق وعنايةٍ من سابقتيها، طُبعت عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م في بيروت.. في دار الأعراف للدراسات والنشر، وهذا الكتابُ يبحثُ المسائل الخلافية بين المذاهب الإسلامية، فيْ مناظرةٍ أخلاقيَّة.. فيْ أسلوبٍ أدبيٍ، وتحليلٍ دراسي يقومُ على البرهانِ والإقناع، فيما يذهبُ لهُ

المؤلِّف مِنْ رأيٍ، ويُجادلُ الآخرين بصدرٍ رحبٍ، وقلمٍ إنساني لا يشطُّ بكلمةٍ نابيةٍ، بل يُحاورُ مَنْ يُخاطبهُ بتعظيمٍ واحترام، وهكذا محاورةُ مَنْ يحملُ الخلق الإسلامي ويمثلُ الفرقان العظيم حيث أوصانا (وجادلهم بالتي هي أحسن) وكتاب المنظرات قد ترجم من اللغة العربية إلى لغة الأوردو.

٤ ـ طريق النّجاة:

وهيَ مخطوطةٌ.. كتبها الإمام الخُنيزي لمُقلديه مِنْ الجمهور، حتَّى ينتفعُ بالعملِ بها، وإذا قرأتها وجدتها أفقاً علمياً متسع الجوانبِ والأفكار.. تدلُّ على علميَّةِ صاحبها، حيثُ لا تحملُ احتياطاً إلاَّ نادراً، كما روي عنهُ قولهُ (إن مدَّ الله في عمري.. لأكتبنَّ رسالةً عمليَّةً، لا احتياط فيها) وأكثرُ الاحتياطات تنبثقُ مِنْ أفقِ الفقهاء العاملين.. أمَّا للتقوى أو لعدم وصول الفقيه إلى دليلٍ يوضحُ لهُ حقيقة ذلك المطلب فيْ رأيهِ.

٥ ـ المنهج في العمرةِ والحجِّ:

طُبع هذا المنهج مرتينِ بمطبعة الآداب بالنجف الأشرف عام ١٣٧٦هـ، الطبعة الثانية عام **١٣٩٣** هـ، علَّق على الطَّبعة الأولى (الإمام الحكيم)، والثانية (الإمام الخوئي)، وهذا الكتاب يبحثُ عَنْ مناسك الحج والعمرة، فينتفع بهِ الحاجُ

والمعتمر في تطبيق المناسك، لأنه مبسَّطٌ فيْ لغةٍ واضحة الحروف والمعاني.

٦ ـ الرِّسالة الشَّكيَّة:

هوَ كتابٌ مطبوع.. كتبها الإمام الخُنيزي في عام ألف وثلاثمائة وأثنين وخمسون هـ يبحثُ فيْ مسائل فقهية التي تعرضُ للمصلي، وهيَ الشُّكوك، فيستفيدُ منها المصلي، لأن الصَّلاة هيَ معراجُ المؤمن إلى ربّهِ، فإن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدَّت رُد ما سواها.

٧ ـ روضة المسائل في إثبات أُصول الدِّين بالدَّلائل:

هذا الكتابُ طُبع بالنجف الأشرف.. بالمطبعة الحيدرية، عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، يبحثُ فيْ أُصول الدِّين بحثاً مستفيضاً، وهوَ كتابٌ نادرٌ فيْ موضوعهِ، يُعالج مفهوم أبحاثهِ بالدليلِ والبرهان.

٨ ـ الخِلسة مِنْ الزمن، في معنى التَّسامح في أدلَّة السُّنن:

هذا كتابٌ طُبع مرتين.. الأولى في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م في النَّجف الأشرف، والطَّبعة الثَّانية طُبعت بمؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، وهذا الكتابُ يبحثُ في معنى التسامح في أدلة السُّنن، ولكنَّهُ بحثٌ مستفيضٌ بأسلوبٍ علميٍّ فلسفيٍّ.. عميق الفكرة، بعيد

المرمى، وفيهِ تحاورٌ مع جهابذة العلماء، ومِنْ ضمنهم الإمام الآخوند، فهو يناقشهُ كما يناقشُ غيرهُ مِنْ العلماء، فيقيمُ البرهان العلمي على رأيهِ، ويُفنِّدُ آراء الآخرين.

٩ ـ قبسة العجلان في تحقيق مرجع الكفر والإيمان والطاعة والعصيان:

هوَ كتابٌ طُبع مرتين.. الطَّبعة الأولى عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، في المطبعة الحيدرية بالنَّجف الأشرف، والطَّبعة الثَّانية طُبعت بدار الصفوة بلبنان عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، وهوَ كتابٌ يبحثُ مطالباً علميَّة بأُسلوبٍ فلسفيٍّ علمي، وتسميتهُ بهذا الاسم فيهِ إشارةٌ إلى أنَّ مؤلِّفهُ اقتبسهُ كما يقتبسُ العَجِلُ الوقتَ قبل أن يقطعهُ، فهوَ يحملُ تحقيقاً في معنى الطَّاعة والعصيان، فيْ تحليلٍ مبرهنٍ عليهِ بالدليلِ والبرهان.

١٠ ـ لسان الصِّدق:

هذا كتابٌ مخطوطٌ، وهوَ يناقشُ آراء بعض العلماء فيما ذهبوا إليهِ مِنْ مبالغةٍ، وهوَ يحاورهم بأسلوبٍ أدبيٍ أخلاقي في تفنيدِ آراءهم، وردَّها إلى الصَّواب.

١١ ـ فيْ عدَّة الحامل، المتوفَّى عنها زوجها:

طُبع هذا الكتاب مرتين عام ١٣٦٩ هـ، ١٩٤٩ م.. الأولى بالنَّجف الأشرف بمطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف، والثَّانية

ببيروت بمطبعة دار الصفوة عام ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م وهذا الكتابُ فيهِ ردٌّ هادفٌ، وأسلوبٌ رفيعٌ، ونقاشٌ تحاوريٌّ.. يردُّ على أحد علماء السُّنة الَّذي خطَّأ الإمام/ عليّاً.. في عدَّة الحامل المتوفَّى عنها زوجُها، حيثُ قال (ما أخطأ عليٌّ قط.. إلاَّ فيْ عِدة الحامل المتوفَّى عنها زوجها).

١٢ ـ مقدِّمةٌ في أُصول الدِّين:

هذا الكتاب طبع مرتين.. الأولى عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م بالمطبعة الحيدرية في النَّجف الأشرف، والطَّبعة الثَّانية طُبعت بمؤسسة البلاغ اللبنانية في عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وهوَ يبحثُ عَنْ أُصول الدِّين، التوحيد والعدلُ والنُّبوة والإمامة، واليوم الآخر (يوم يقومُ النَّاسُ لرب العالمين).

١٣ ـ الدَّعوة الإسلاميَّة إلى وحدة أهل السُّنة والإمامية:

يتكوَّن مِنْ مجلَّدين ضخمين.. طُبع بمطبعة الإقبال ببيروت، عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، وهذا الكتابُ يدعو لتوحيد الكلمة، ويشجب الطائفيَّة الَّتي فرَّقت المسلمين، ويردُّ على مَنْ دعا للتفرقة، وتشتيت الكلمة، فهوَ يردُّ عليهِ بأسلوبٍ خلقيٍّ، ومنطقٍ أدبيٍّ.. بأدلةٍ وبراهين، وقَدْ كان لهذا الكتاب صدًى بعيداً فيْ أفقِ العلماء ودنيا المسلمين، فلَمْ يتقوقع ويعيش فيْ محيطِ أفق الشِّيعة فقط، بل أُعجب بهِ علماء الشِّيعة وعلماء

السُّنة على حدٍّ سواء، فهذا أبو زهرة.. أحد علماء مصر فيْ كتابهِ (الإمام الصَّادق) المطبوع في دار الندوة ببيروت يوافق الإمام الخُنيزي فيْ بعض آراءهِ، الَّتي وقفَ عليها العلاَّمة أبو زهرة، وقرأها في كتاب (الدَّعوة الإسلاميَّة)، فقَدْ قال بالنص وقد شبه بعض كتاب ألسنه الكافي عند الشيعة بصحيح البخاري عند أهل السنة فرد ذلك بعض الأفاضل من كبار إخواننا الإمامية وقال ((إن الكافي أصولاً وفروعاً عند الشيعة لا يبلغ مبلغ صحيح البخاري عند أهل السنة لتصريح بعض الجهابذة من علماء أهل السنة بأن صحيح البخاري أصح كتابٍ بعد القرآن، ولدعوى ابن خلدون إجماع أهل السنة على صحيح البخاري والعمل به، ولذا لا يصح النظر في رواته وليس الكافي بهذه المثابة عند الشيعة، بل هو عند الشيعة أحد الكتب الأربعة التي تضمنت الصحاح من الأخبار لا أن كل ما فيها من الأخبار صحيح ولذا ليس للشيعة إجماع على العمل بجميع مافيها من الأخبار صحيح فيصبح عندهم النظر في حال الراوي ويردون الأخبار التي تضمنتها أحكام التعارض والترجيح بكتاب (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية ج١، ص٥ للإمام/ أبو الحسن الخنيزي).

لقَدْ جسَّدتُ لك يا قارئي العالِم المؤلِّف فيْ حروفهِ الخضراء، الَّتي تشرقُ بأنوار العلم والمعرفة، وتخدمُ الدِّين

الإسلامي.. حتَّى يرث اللهُ الأرض ومَنْ عليها بمشيئة الله، كما آمل مِنْ الله أن تخرج بقية كتبهُ المخطوطة إلى النّور، وتحطمُ القمقم، وتتنسَّم الهواء.. لينتفعَ بها ذووا الفكر.

رحلات الإمام

إنَّ للدعاةِ أهدافاً رساليَّةً، يتجشَّمون في سبيل تأديتها كل المصاعب، ويُضحُّون بأنفسهم ونفيسهم وأوقاتهم لتأدية هذه الرسالة التَّعليميَّة، وتبليغ الأحكام الإسلاميَّة، حيثُ يترتَّبُ عليها محور الحياة، ومصير الإنسان في الأخرى، فلابُدَّ للداعية أن ينزل مِنْ برجهِ العاجي، ويعيشُ مع الطَّبقة العامة، ويشاركهم فيْ حياتهم.. لأن الدهماء هيَ المحتاجة إلى التَّعليم والتفقيه، فكان الإمام الخُنيزي مِنْ أولئك الدعاة الإسلاميين، الَّذين عاشوا ليحترقوا شموعاً تُنيرُ للسائرين فيْ طريق الهداية والرشاد.

فأخذ الإمام الخُنيزي على نفسهِ.. وألزمها ما لَمْ يلزمها، فألزم نفسهُ بالرحلات إلى مدن القطيف وقراها، لينشر التعاليم الإسلاميَّة فيْ نفوسِ أهالي تلك المدن والقرى، وأهلُ القرية والريف نفوسهم صافيةٌ، وقلوبهم طاهرةٌ، لَمْ يألفوا حياة التعقيد، أو المداورة، فهم يعيشون على بساطة الطَّبيعة،

فكانت زورات الدعاة لهم تأتي بأُكلٍ طيبٍ، لأنَّهم أقربُ تعلقاً بالدِّين مِنْ المدن الَّتي تحفلُ بالمغريات، فالإمامُ الخُنيزي لهُ رحلاتٌ وجولاتٌ.. يُخصِّصُها لتلك القرى والمدن، يقضي فيها أيَّاماً في حياة التَّعليم والإرشاد، وكان ذلك الظَّرف الَّذي يقضي فيهِ الرحلات ظرفٌ بائسٌ، لا يملكُ فيهِ الفردُ قوت يومهِ.. إلاَّ شريحةً قليلةً تُعدُّ بالأنامل، فهم يعيشون على جوعٍ مدقع.

وقَدْ شاهدتُ بنفسي زنابقاً مِنْ الفتيات، ووروداً مِنْ العذارى، تلتفُّ فيْ رداءٍ ضُربت عليه الذلة والمسكنةُ، فإذا أزاحت الريحُ ذلك الرداء، أو انكشف منها بدونِ قصدٍ، بانت أفخاذُها وسيقانها، وقَدْ أشرتُ لهذه الفترة البائسة فيْ صورها المرعبة فيْ كتابي (خيوط مِنْ الشَّمس)، فلا أريدُ أن أعود لها هنا.. إنَّما وقعت كجملة اعتراضية، أو طريقٍ نمرُّ منها إلى رحلات الإمام الخُنيزي، إذ لابُدَّ لنا مِنْ إعطاءِ لمحةً عَنْ تلك الفترة، لتعرف الأجيال إنَّ هذه الرحلات ليس الهدف منها.. إلاَّ خدمة الدِّين، وليس هناك هدفٌ مِنْ ورائِها.. إلاَّ التَّعليم.

فالإمامُ الخنيزي يعيشُ مع هؤلاءِ على ما بهم مِنْ جزرٍ مادي، بل لا يصحُّ هذا التعبير، لأن الجزر قَدْ يعقبهُ المدُّ، وهنا لا مد مرتقب بل جزر متصل.. إنَّما هيَ دنيا جِشوبةٍ بائسةٍ، ويُصِّبِرُ أهلَها ما يتحلوْن بهِ مِنْ الإيمان والرُّسوخ في

العقيدة الصَّلبة، الَّتي لا تزعزعُها عواصفُ الفقرِ، ولا أهوال المصائب، ولهذه العوامل.. يقضي معهم الإمام الخُنيزي في تلك البيوت والأكواخ والحقول أيَّاماً، وهو يتصبَّبُ فيها مِنْ العرقِ، ويُعاني قسوة الصيف الحاد، إذ لا وسائل ترفيهية وجدت في ذلك الظرف، ولكنَّهُ فيْ سبيلِ هذه الرسالة التَّعليميَّة لا يتأفَّف، ولا يتضجَّر.. فتراهُ باسم الثَّغر، واسع الصَّدر، يُعلِّمهم ويتلقَّى أسئلتهم، ويُجيبُ عليها فيْ منطقِ أسلوبٍ يُفْهِمُ بهِ حتَّى الطفل الصَّغير.

فلهُ رحلةٌ إلى قرية «الجش» يقضي فيها قرابة عشرة أيَّام، كلها في الإرشادِ والتَّعليم، ومِنْ الصُّدف الغريبة: أنَّهُ أوعدهم بالرحلةِ إلى قريتهم، كما عوَّدهم قبل رحيلهِ، ولكنَّهُ رحل قبل الرحيلِ لهم.

حتَّى أشار لهذا الحدث الشَّاعر/ فيصل سنبل.. فيْ تأبينهِ للإمام الخُنيزي، حيثُ قال مِنْ قصيدتهِ:

الجشُّ أوعدتها تأتيْ لَهَا فمتَى؟

يا سيِّديْ! أي يوم منكَ نرتقبُ!

ولهُ رحلةٌ تماثلها إلى جزيرة (تاروت)، والهدفُ نفس الهدف، وفيْ مدينة (سيهات) وبقية القرى (كالملاَّحة وأم الحمام والعوَّامية)، فإذا لَمْ يقم بهذه الرحلات.. تراهُ فيْ كلِّ يومٍ يخرجُ مِنْ بيتهِ في القلعة (حاضرة القطيف أمسِ) ليزور

بعض بيوت الفقراء وأكواخهم بضواحيها، والهدفُ مِنْ ذلك هوَ الإرشادُ والتفقيه، فعلى سبيل المثال.. لا على سبيل الحصر، لهُ زورةٌ فيْ مساءِ كل سبتٍ عند/ السَّيِّد شبَّر السَّيِّد محفوظ الخبَّاز، ومساء الجمعة عند/ حسن سهوان، ولا نريدُ أن نأتي عليها واحدةً واحدة، فهذه الزيارات.. وتلك الحركة العلمية الأدبية، تبرعمت في نفوس الفقراء، وكانت معرفةً وطريقاً إرشادياً لهم في دينهم، وأمَّا تبرعمها في آفاق العلماء والمفكِّرين.. تجسَّدت أفكاراً مِنْ مصابيحٍ تضيءُ عتمة سماء القطيف، وتشرقُ مع إطلالةِ كل صباحٍ ومن تعاليمه كان يخاطب طلاب العلم في أسلوب إرشاديٍ مقنعٍ أعطيه كلك يعطيك بعضه وقد استفدت منه شخصيا آراءً في قواعد اللغة من الآراء الدقيقة كمثل سؤاله لي هل الذي نقدره لتعليق الجار والمجرور كلفظة كائن أو كان هل هي ناقصة آم تامة فقال لو قدرناها ناقصة لوقعنا في الدور والتسلسل فانظر لهذا الرأي الدقيق الذي يجتهد في قواعد النحو فيقرر رأيه طبق الدليل ويفند الآراء فلابد من تقديرها تامةً حتى نتفادى الدور والتسلسل.

هذه لمحةٌ اقتبسناها وصورناها فيْ حرفٍ مختصرٍ عَنْ رحلات الإمام الخُنيزي.

مشاهد مِنْ «ذاكرة التَّاريخ»

إنَّ لذاكرة التَّاريخ مشاهداً مِنْ الذكرى، تمرُّ فيْ صورٍ شتَّى.. فتختزنُ طي ذاكرة الإنسان، فمنها ما يصدأُ ويموتُ وراء جدران الزَّمن، ومنها يبقى حيّاً متى شاء صاحبُ الذكرى بعث ذلك المنظر في لحظةِ تصورٍ، فإذا بذلك المنظر أو طيف تلك الذكرى.. يتجسَّدُ أمام عين الشَّخص كشريطٍ سينمائي يمرُّ فيْ مناظرهِ الواقعية، وكأنَّ النُّظَّار يشاهدون أحداثهُ في صورةٍ تلو الأخرى، ولو لَمْ يبعثها صاحبُها ويرسمُها فيْ حرفٍ مِنْ الحروف، ستموتُ معهُ وتلفُّ فيْ تلافيف الزَّمن السَّحيق.

وبعد تصويري لهذه الذاكرة.. أُريدُ أن أرسمَ بعض المشاهد مِنْ تلك الذكريات، الَّتي غفت على حواشي تاريخ الزَّمن الماضي بين طيَّات صفحات الذاكرة، وهذه الأحداثُ مرتبطةٌ بحياة أبي، الَّذي مِنْ أجلهِ رسمتُ هذه الأطروحة المختصرة، وأنا استعرضُ الماضي أُشاهدُ أبي في حياتهِ البسيطة الغير المعقَّدة في أسلوبهِ الطَّبيعي.. يعيشُ فيْ بيتهِ الجنوبي الَّذي

ورث قسماً منهُ مِنْ أمِّهِ رحْمة، وقسمٌ آل لهُ بالشراء بعد أن باع بيتهُ بالنَّجف الأشرف، والبيت الآخر المعروف بالشمالي ولا يزالُ يعيشُ على الأرضِ حتَّى يومنا هذا.. آل لهُ ميراثاً مِنْ والدهِ/ حسن مهدي الخُنَيْزي، والَّذي أريدُ أن أُشيرُ لهُ وأُسجّلهُ: ما مرَّ فيْ آفاقِ حياتهِ مِنْ تضحياتٍ في سبيل المجتمع فضَّلها على حياتهِ الخاصة، فقَدْ عاش طيلة حياتهِ.. لَمْ يضف لما ورثهُ مِنْ أبيهِ عقاراً واحداً، كبستانٍ أو بيت، بل باع قسماً مِنْ أملاكهِ ممَّا ورثهُ مِنْ أبيهِ، فيْ سبيلِ الإنفاقِ على عائلتهِ وأرحامهِ والبائسين الفقراء مِنْ أبناءِ وطنهِ، بل لَمْ يحاول أنْ يبني في أحد بيتيه أو كلاهما مجلساً مستقلاً خارجاً عَنْ المنزلِ ومتصلاً به، فمجلسهُ فيْ الدور الأرضي ليس لهُ بوابةٌ منفصلةٌ، إنَّما يُدخلُ إليهِ مِنْ نفسِ البيتِ، ومجلسٌ آخر هيَ مكتبتهُ الَّتي تقعُ في الدور الثالث بالسطح، والاتصال بها عندما يأتي لهُ ضيوفٌ يمرون لها مِنْ وسط البيت، ويرتقون السلالم.. فكلَّما جاء ضيْفٌ وأراد الصعود لهُ احتاج إلى شخصٌ يفتحُ لهُ تلك الطريق ويخليها لهُ خشية مِنْ مصونة مجتازةٌ هناك، وقَدْ تضطَّرهُ الظّروف في فصول الصيف القاسية إذا زارهُ ضيفٌ ليلاً أنْ يستقبلهُ في السطح الَّذي بهِ راحتهُ ومنامه، فتكونُ هذه الزورة حرجاً على عائلتهِ.. إذ لا كهرباء تخفف وهج الحر، ولا يعيشُ أبي على رياشٍ فخْمٍ، إنَّما

فراشهُ مِنْ البُسطِ والمدَّاد الَّتي تنتجُها معاملٌ قطيفية بأيدٍ وطنية مِنْ أسلٍ تنبتهُ الأرض، هكذا شاهدتُ هذه الحياة الغير المركبة، فهيَ حياة المؤمنين الصَّالحين الَّذين ساروا على هدي آلِ بيت الرَّسول ﷺ، وقَدْ شاهدتُ بنفسي أخي الأكبر الشَّيخ/ حسن رحمه الله قال لأبيهِ ذات مرَّةٍ: إنَّك لا تملكُ مجلساً وإنَّ السَّيِّد حمزة العوامي قَدْ ابتاع لهُ بيتاً وهذا يصلحُ أنْ يكون لك مجلساً، ولكون السَّيِّد حمزة.. أحد الموظفين عند أبي والمعتمد عليهِ في التمورِ وبعض الشؤون الأخرى، وهذا البيتُ ابتاعهُ بثمنٍ مناسبٍ، فلو ابتعتهُ منهُ وجعلتهُ مجلساً لك، ولكون موقعهُ ملاصقٌ لمسجدك الَّذي تقيمُ فيه صلاة الجماعة يصلحُ أن يكون مجلسٌ لك، فكان الردُّ مِنْ أبيهِ ردّاً حاسماً بعيداً عَنْ الدُّنيا وما فيها: لو أردتُ يا ابني مجلساً ضخْماً مؤثَّثاً لما احتجت إشارتُك، ولكنَّ ثمن هذا المجلس أُنفقهُ على ذوي الحاجة مِنْ أولي الرحمِ أو على البؤساء، فتخفيف جراحاتهم أحبُّ إليَّ مِنْ ذلك المجلس، والمرءُ لا يعيشُ فيْ هذه الحياة إلاَّ أيَّاماً معدودات وما أصدق قولة الإمام عليٍّ عليه السلام: «عند الصَّباحِ يحمد القوم السُّرى» ولا أريدُ أن أُنغّص على السَّيِّد حمزة ومتَّعهُ اللهُ بهذا البيت، ولعدم استقلاليَّة المجلس في أحد بيتيه اضطّر إلى إسكان الضيوف الأجانب فيْ نادي الخُنيزي العام، المعروف بحسينية الزريب

باللهجة الشَّعبية، الَّتي لا تزال تعيشُ على رقعة الحياة حتَّى يوم النَّاسِ هذا».

ولأجل هذه السيرة المعطاة.. بقيت أصداءٌ ذكرى تتردد أصدائها في نفوس القطيفيين حتَّى يومنا هذا، فتشاءُ الظروف لي أن أزور الحاج أحمد الحاج حسن نصر الله فيْ بيتهِ، فيْ ليلة السابع عشر مِنْ شهر رمضان المبارك.. عام اثنين وعشرين بعد الأربعمائة والألف هجري، الموافق الثاني مِنْ شهر ديسمبر.. عام واحد بعد الألفين ميلادي، فإذا بهِ يتحدَّثُ عَنْ أبي وما كان لهُ مِنْ سيرةِ كرمٍ وأخلاقٍ وعلْمٍ، وحفْظٍ للقرآنِ والشِّعْر والتَّاريخ، وأضاف الحاج أحمد الحاج حسن نصر الله قولهُ: إنَّني سمعتُ مِنْ أبيك أنَّهُ يحفظُ مِنْ الشِّعْر العربي ما يزيدُ على أربعةِ آلاف بيتاً، وعندما أكمل حديثهُ تكلَّم ابنُهُ عبد العزيز قائلاً: إنَّ والدتي حدَّثتني وقصَّت عليَّ قصصاً كثيرةً عَنْ حياةِ أبيك الشَّيخ علي أبي الحسن الخُنْيزي، وما فيها مِنْ مسيرةِ خيرٍ للدِّين والوطن، وكذلك عاقبة المتقين الَّذين يخشون الله سرّاً وعلانيةً.

ومن الذكريات التي غفت على حواشي التاريخ وبقيت منظراً أو شريطاً يمر في تاريخ خاطرة الذكرى كخاطرةٍ تمر على خواطر الإنسان الذي عايش تلك الحقبة يتصور عندما تجذب الأرض وتحتاج إلى الاستسقاء يكتب له المغفور له

الملك عبدالعزيز آل سعود بالخروج الى الاستسقاء ويكتب للأمارة بغلق الحوانيت وتعطيل الحركة التجارية

يخرج أبي للصحراء بجانب مقبرة الحباكة وقد أخذ له الأستاذ عبد الله اخوان صوراً وهو يؤدي تلك الصلاة بجانب مقبرة الحباكة للاستسقاء وجماهير القطيف يشاركون يأدون معه الصلاة بأتمامه وهذه ظاهرة اجتماعية قد توارت وانطوت في طي الزمن الماضي.

غروب

إنَّ طيف هذه الكلمة ينطوي فيْ ظلِّ حرفهِ شعورٌ بالرَّهبةِ (رهبة النهاية) فلكلِّ موجود غروب، ولكلِّ بدايةٍ نهاية.. فالحياةُ بحرٌ خضمٌ، والموجوداتُ فيها كسفينٍ تمرُّ بأقلعتها، وبعد ساعاتٍ أو أيَّامٍ يبتلعها هذا الموج الضخم، وكأنَّها لَمْ تسابح الحيتان، ولَمْ تمر تحت أشعة الشَّمس وضوء القمر.

إنَّ ظل الغروب كلحنٍ فيهِ تفجعٌ، ورنَّةُ عويل.. تنبعثُ مِنْ فؤادِ كل موجودٍ على صعيد الواقع بغير نفاقٍ أو مجاملة،.. وقَدْ ينسيها حب الحياة فيناسي النهاية، فالأملُ الطَّامح في كل فردٍ مِنْ البشرية يجمحُ بهِ إلى نسيان منظر الغروب، مع مشاهدتهِ لهُ في كل مساءٍ عندما يُلقي الشَّفقُ ظلال النهاية على أمواج البحر أو رمال الصَّحراء، فيشاهدُ أطيافهُ الذَّهبية تتحرَّكُ صورها، وهيَ تعبِّرُ لهُ عَنْ معانٍ بعيدة فيها حروفٌ تناديهِ بصوتِ تحزير وتخويف.. كل يومٍ غرب منهِ يقرِّبُ غروبك مِنْ هذا المنظر الكئيب المتموج بهذه الأشعة البنفسجية.

إنَّ طيف الغروب في مساءِ كل يومٍ.. يُشيرُ إلى البشرية، من هذا الشفق الأحمر السائل وينذرُها بأن لا تضيع حياتها في فراغ لا يعودُ عليها بالخير، ولكنَّ الإنسان يتناسى هذه النهاية، ويظلُّ سادراً في حياةِ لهوٍ، حتَّى يباغتهُ ذلك المنظر الرَّهيب، فيندمُ ولات مندم، فهل يتذكر الإنسانُ وهوَ في وسطِ دنياً تعجُّ بالمطامحِ والآمال فيعود، ساعةً فخلدُ فيها إلى سكينةٍ ويدعو ربه في خشوع وإيمان، ويذكرُ ذلك المنظر المخيف.

لا أعمِّمُ هذه المقولة فيستثنى مِنْ البشرِ الأنبياء والرسل وآل محمَّد ﷺ، وبعض الصَّالحين الَّذين ساروا على ضوءِ الرُّسلِ، فمنهم ثلَّةٌ في الأولين وثلَّةٌ مِنْ الآخرين، والحياةُ كالغربال.. يمرُّ بها الصَّالح والطالح، فالطَّالحُ كالزوان يتساقطُ مِنْ الغربال، أمَّا الصَّالحُ.. فيبقى حيّاً عند ربِّهِ بعد أن يطوي هذه الحياة ويرحل إلى ربه، فالعلماء والمفكِّرون خالدون بعد أن تفنى حياتهم المادية، وكأنَّما موتهم يوم ميلادهم، وهدفي الضوئي مِنْ رسمتي لهذه الصُّورة التعريفيَّة للغروب أو للرحيل العام، أن ألِجَ من أفقها إلى ساعةِ ألم مِنْ ذكرى مُرةٍ فيْ حياتي.. ليلة موت أبي.. فقد غربت شمسُهُ فيْ الساعة السادسة مِنْ ليلة الأربعاء بالتوقيت الغروبي، الموافق واحد وعشرين مِنْ شهر ذي القعدة.. عام ثلاثة وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري، والموافق السادس مِنْ نوفمبر.. عام أربعة وأربعين بعد التسعمائة والألف ميلادي.

وإنني لا أريدُ أن أصف دور التشييع الرهيب لرحيل الإمام الخنيزي لأنني أعطيت عنه صورة في كتابي خيوط من الشمس وإنما أريد أن أسجل تاريخاً ليوم وفاته كتبه سبطه الأستاذ/ محمد رسول أحمد آل الزائر وهذا السبط قام بمجهود لم يقم به أحفاد الإمام ولا أسباطه حيث طبع لجده بعضً من إصادراته كما راجع لي هذه الأطروحة الطبعة السابقة فجزاه الله خيراً والتاريخ المشار إليه رسمه في أبياتٍ أربعةٍ منفصلةٍ وفي بيتينِ أُخريين وعلى القارئ الحكم عليهما كما سجل العلامة الأستاذ المرحوم الشيخ/ فرج العمران تاريخ وفاة الإمام الخنيزي حين وفاته ولم أذكر هذا التاريخ هنا لأنه ذكر في ذكرى الإمام.

التأريخ الأول:

الـــديـــن أصـــبـــح بـــاكـــيـــا

لـــمـــا قـــضـــى ربـــانـــهُ

والـــعـــلـــم يـــنـــعـــى بـــالأســـى

قـــد نـــضـــبـــت غـــدرانـــهُ

والـــخـــط فـــي مـــصـــابـــه

يـــدعـــو مـــضـــى عـــنـــوانـــهُ

أرخـــتُ: والـــلــه الــهــدى

تـــصـــدعـــت أركـــانـــهُ

١٣٦٣هـ

التأريخ الثاني:

أفٍ لـــصـــبـــح قـــد قـــضـــى

فـــي لـــيـــلــه نـــفـــس الـــوصـــي

لـــــيــــل لـــــه أرَخ: أقـــــل

فـــيــه قـــضـــى الـــمـــولـــى عـــلـــي

١٣٦٣ هـ

خاتمة

لا أريد أن أصف الفراغ لرحيله في أفق القطيف فأصف ذلك الفراغ الرهيب والليل الذي غطى على فجر الحركة العلمية والأدبية فأصبحت جثة هامدة حيث أني أعطيت عن هذا الفراغ وعن مأتم الذكرى وما تخللها من مناظر حزن رهيبة فقد أعطيت عنه لمحة في كتابي خيوط من الشمس وعن عقبه ومالهم من تفاعلٌ في الفكر وفي دنيا القطيف حيث منهم العلماء والمفكرون والقضاة، ولكنني أشيرُ في هذه الأحرف التي هي كخاتمة لهذه الصورة المتحركة في حروف يضمها إطارٌ واحد أن الإمام الخنيزي لم يمت إنما هي نقلةٌ من عالم الفناءِ إلى عالم البقاءِ وسيبقى حرفه مخضوضراً يسقي العقول والأرواح بكأس شفافيةٍ روحيةٍ تسكر العقول وتروي ظمأ الأرواح في كتبهِ وتلاميذه الذين انفصلوا صورةً من فكره وتزودوا منه في حياته، وآخرين شربوا من جدول حروفه، وقد وصف هذا الفراغ الشعراء والأدباء في صورة مصبوغة

بالشجى تنم وتبعث عن حزن عميق وألمٍ مبرح من قلوب ملتاعة وعيون محمرة عندما سكبت القلوبُ دموعها وجوارحُ أخذها هول المصاب وآخرون غشى قلوبهم الصمت، ولكنه صمت الهول ورعدة الحزن وأصدق وصفٍ ينطبقُ على هذا الفراغ بيتٌ من قطعةٌ حزينةٍ مأساويةٍ لابنه العلامة الشيخ/ عبد الحميد الخنيزي الخطِّي رحمه الله المتوفى في يوم الرابع عشر من شهر محرم عام ألف وأربعمائة وأثنين وعشرون هجرياً الموافق الثامن من شهر إبريل عام ألفين وواحد ميلادياً:

خلا الغابُ فاستأسدِ يا ذئاب

فليث القضا جسدٌ هامدُ

ولا أريد أن أطيل وأمد أحرف هذه الرقعة حيث أشرت لما صورته من صورة فراغ في كتابي (خيوط من الشمس) فهنيئا لك يا أبتى ورحمك الله وجزاك خير الجزاء فقد أفنيت حياتك في جهادٍ في سبيل الدين ونشر فقه آل الرسول فرحمك الله مرة أخرى وأسكنك فسيح جناته ومَنَّ الله عليك وبلطفه ورحمته فلنعمىَ عقبى الدار.

تنبيه:

وقع خطأٌ في ترجمة العلامة الشيخ حسن علي البدر في كتابي الشعر ودوره في الحياة ص١٣٥ من الجزء الرابع المجلد الثاني وهذا الخطأ هو في توجيهه الرسالة التي هي

بخطه الموجهة منه إلى أبي حيث قلت إنها من سماءِ النجف الأشرف إلى القطيف والصحيح أن العلامة البدر كتبها وجهها من سماءِ كربلاء المقدسة لأبي بالنجف الأشرف حيث لا يزالا في ذلك التاريخ مهاجرينِ وننشر صورتها في هذا الكتاب لتصحيح الخطأ وللعلاقة الممتزجة كالروحين بين البدر وأبي ولكونها أصبحت من التراث لمرور قرن عليها وهي بخط المجاهد الشيخ حسن علي البدر يجد القارئ صورة منها في آخر الكتاب.

وقد نسخها بقلمه السكرتير الأستاذ/ هشام محمد حسن.

١٤٢٣/١٢/٠٧ هـ

٢٠٠٣/٠٢/٠٨م

مقالة عبقري غطى عليه جدار التاريخ

ورأيت إتماماً للفائدة أن الحق هذه الأطروحة بالمقال الذي أدرته حول القضا ونشر في مجلة الواحة عبقري غطى عليه التاريخ فأنا أثبته هنا حرفياً كما نشر.

عبقري غطى عليه جدار التاريخ

مع رجال عاصرتهم (٨) تعقيب وتصحيح

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

توطئة: جهد وطني.. ولكن

إن التاريخ وثيقة من الوثائق الثمينة الغالية التي هي أمانة في أعناقنا وبالتاريخ تحفظ المآثر وتخلد الأمم وتعيش الأفكار أنواراً تهدي السائرين في عتمة الحياة وفي دروبها الملتوية فالتاريخ ركيزة من ركائز الحياة الماضية والآتية، فإذا انطمست ركيزة أو انحرف مؤرخ، أو نسي أحداث التاريخ جاء التاريخ مجانباً للحقيقة المنشودة وقد يظلم بعض

الشخصيات ويضفي على بعض الشخصيات وكم من عبقري غطى عليه جدار التاريخ ودفنه ركاماً بين أيامه ولياليه، لا أريد أن أطيل الحديث حول حركة التاريخ وسكونها وما اكتنفتها من ظروف وأهواء رسمتها ريشٍ التاريخ مناظر بعضها صورت الحقيقة وبعضها جانبتها.

إنما أردت بهذه التوطئة القصيرة لأدخل إلى موضوع قرأته في مجلة الواحة الغراء في عددها العشرين الصادر في الربع الأول عام واحد بعد الألفين ميلادي ضمن ملف القضاء، فالقضاء ليس هو مؤسسة اجتماعية أو كإحدى المؤسسات التي هي كأداة تؤدي دورها في المجتمع ثم تنتهي، إنما القضاء منصب مقدس في الإسلام منذ بعث خاتم الأنبياء ﷺ فدوره الفصل في حياة المجتمع تدور عليه في أحكامه كالنفوس والأموال والدماء والفروج والأعراض والقضاء في المملكة العربية السعودية: قضاء إسلامي يرتكز في أحكامه على دعامتين (الكتاب والسنة) فهو من أقدس المناصب وحتى في البلاد المدنية كالغرب، التي لا تستعمل القضاء في البلاد إلا حسب قوانينها المدنية التي تضعها فهو لديها محترم ومقدس ولا أريد أن ادخل بك يا قارئي في بحث متشعب وهدفي من هذا التعقيب أن أصحح بعض المفاهيم التاريخية التي وقعت في مقال الأستاذ الصديق/ السيد على السيد باقر العوامي

تحت عنوان: (رجال عاصرتهم ـ الشيخ أبو عبد الكريم الخنيزي).

والأستاذ/ العوامي: يشكر على هذه الجهود الوطنية التي قام بها في هذه الحلقات المتوالية وهدفه الإخلاص والإشادة برجالات بلاده ولكنَّ صدأ التاريخ والفجوة الزمنية أوقعته في خطأ بعض مفاهيم للتاريخ ونسيان لحوادثه البعيدة التي مر عليها أكثر من نصف قرن وليتسع صدره لردي وتصحيحي لبعض الأخطاء.

أولاً: احتكار الخدمة السياسية والاجتماعية:

ذكر في صدر مقاله تخصيص الزعيم الشيخ/ أبي عبد الكريم الخنيزي رحمه الله انفراده بالخدمة السياسية والاجتماعية دون غيره ونسي الشيخ/ محمد علي الجشي والشيخ/ منصور آل سيف الذي هو أحد الزعماء والشيخ حسن على البدر والإمام الشيخ/ أبا الحسن الخنيزي فإنه خدم هذه البلاد وقضاياها الاجتماعية والسياسية منذ وطأت رجله أرضها في رجب عام تسعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري منفرداً تارة وأحياناً مع ابن أخيه وطوراً مع بعض الشخصيات كالزعيم علي بن حسن أبو السعود والعلامتين الشيخ/ محمد علي الجشي والشيخ/ منصور آل سيف وأحمد سنبل والزعيم/

عبد الله نصر الله مضافاً إلى أعباء القضاء حتى رحيله عن هذه الدنيا الفانية، وسوف أُذكِّره ببرهانٍ حي فقد حضر تركة الإمام أبي الحسن الخنيزي وابتاع منها ثلاجة بأربعين روبية وفي تلك الجلسة أحضر الأخ الشيخ/ حسن أبو عبد الواحد رحمه الله منضدة ابتاعها/ عبد الحميد سعود أبو السعود والشاهد هنا حيث كانت تضم تلك المنضدة أوراقاً للشيخ/ أبو حسن الخنيزي تدور بينه وبين المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه، فأخرج الأخ أبو عبد الواحد من داخل المنضدة تلك الأوراق حيث إنه لا تتبع المنضدة في البيع وأردف الأخ/ أبو عبد الواحد هذه وثائق غالية عندي لأنها تدور بين أبي وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه، وأذكر من ضمنها برقية مرفوعة من الشيخ/ أبو الحسن الخنيزي بتوقيعه الخاص تدور حول حادث السيد الصفواني وهذا الحادث وقع في الخمسينيات بعد الثلاثمائة والألف هجري وهذه الأوراق كلها صارت عند الأخ أبو عبد الواحد وما أدري ماذا فعل بها الزمن وأنت يا أستاذ/ أبا كامل.. قد صار عندك تداخلاً حيث أشرت إلى طبيعة عمل الشيخ/ منصور آل سيف والشيخ/ محمد على الجشي حيث قاما بزيارة جلالة الملك/ عبد العزيز آل سعود في مهمة وطنية كما أشرت للعلامة السيد ماجد العوامي في اشتراكه في بعض الأحداث

فتخصيصك للزعيم أنقضته بنفسك على نفسك ونحن لا ننكر دور الزعيم الشيخ/ أبي عبد الكريم الخنيزي في خدمة هذا الوطن وتضحياته إنما حصرك فيه دون غيره يخالف الحقيقة التاريخية ويغمط حق الآخرين.

ثانياً: حصر القضاء في فرد:

يا أستاذ/ أبا كامل..

حصرت القضاء في الزعيم/ أبي عبد الكريم الخنيزي وقلت عندما مرض أناب عنه عمه في القضاء وكلتاهما غير صحيح فأبو الحسن الخنيزي منذ وطأت رجلاه أرض الوطن كان يقضي بين الناس فالخنيزيان هما القاضيان للطائفتين (الشيعة والسنة) وقد رأيت الخصمين يأتيان مع (الخوي) بأمر من الأمير يترافعان عند الشيخ أبي الحسن الخنيزي وأنا أسوق لك البراهين ففي عام سبعة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجري وقع نزاع بين سعيد الضامن وعبد الله بن حسين الفرج أحيل رسميا للإمام الخنيزي وكان المحاميان لهما حسين الشبيب عن سعيد الضامن وحسن الفرج عن عبد الله الفرج وبتّ فيه بالوجه الشرعي بعد أن عجز غيره عن حلها، وتفاصيل هذه القضية ومصدر روايتها في كتاب خيوط من الشمس وقد رأيت الشاعر/ خالد الفرج مع أحمد البقشي

يترافعان عند الإمام الخنيزي قرابة عام التاسع والخمسين وفي العام نفسه بعد وفاة السيد مكي المشقاب عام ثمانية وخمسون بعد الثلاثمائة والألف هجري أحيلت معاملة رسمية من شرطة القطيف هي شكوى من المرحوم حسن علي المرزوق حول ميراث زوجه من زوجها السابق السيد مكي المشقاب على وصيه السيد إبراهيم المشقاب.

أما قولك يا أستاذ فقد عمل أبو الحسن الخنيزي في القضاء بالنيابة عن ابن أخيه فلا صحة له ولا أدرى من أين أتيت بهذه الرواية وليس هناك محكمة تجمع رئيساً ونائباً وكتاباً إنما كل من الخنيزيين يقضيان في بيتيهما بدون مرتب ولا أوراق ولا دفاتر كل هذا من جيبهما قربةً إلى الله وهل هناك أمر من ولى الأمر يخول أو يأمر الشيخ أبا عبد الكريم بجعل عمه نائباً عنه؟ وإنني لم أسمع بهذه الرواية وأنا اللصيق بالخنيزيين منك يا أبا كامل بعد أن مر على هذه الأحداث اكثر من نصف قرن ويا ليتك تسندها لراو من الرواة وأنت المعاصر لهما ولكن قد تصدأ الذكرى وهناك براهين كقضية العلامة الشيخ محمد بن نمر حينما رفع عليه دعوى آل رقية والشيخ محمد توفى عام ثمانية وأربعين بعد الثلاثمائة والألف هجري حين رفض التقاضي عند غير الإمام أبي الحسن الخنيزي وأريد أن أوضح نقطة عن سير القضاء:

فقد كان يأتى الخصمان اختياراً وطوعاً لأحد الخنيزيين وإذا رفض المدعى عليه الحضور لدى الشرع طوعاً عليه هدده المدعي بالخروج على الشرع ونزل من الأعين عند الناس.

ليس فقط قضية المرهون:

والأغرب منك يا أستاذ قولتك أن الشيخ أبا الحسن الخنيزي لم يتدخل في قضية اجتماعية سياسية إلا في قضية الشيخ منصور المرهون وابنه الشيخ علي لأن الشيخ أبا عبد الكريم كان في البحرين وغريب جداً لأن قضية الشيخ منصور وقعت في يوم الثامن من شوال عام واحد وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري والشيخ أبو عبد الكريم لم يسافر البحرين إلا في شهر محرم عام اثنين وستين بعد الثلاثمائة والآلف هجري وأبو الحسن الخنيزي لم يتوقف في مسيرته الدينية أو الاجتماعية أو السياسية على أحد من الأشخاص بل هو حركة دائبة لا تعرف التفتير في خدمة هذا الوطن في جميع قضاياه وفي مواقفه المشهودة كالمطالبة في تخفيض الزكاة وغيرها من المطالب الوطنية وتشهد له المكاتبات التي بينه وبين جلالة الملك المغفور له/ عبد العزيز آل سعود التي أشرنا إليها وعندما وقف المرحوم عبد الله بن حسين آل نصر ضد الشيخ آبي عبد الكريم كان الشيخ أبو الحسن الخنيزي

يناصر ابن أخيه لأنه على الحق فيرسل إلى مقلديه فيسحبون توقيعهم وعلى سبيل المثال لا الحصر (إبراهيم الرميح ومنصور الحلال) فينضمون إلى الشيخ أبي عبد الكريم وأنا شاهدت هذه الأحداث عن كثب وكانت إحدى الركائز لهزيمة عبد الله النصر ونسيت مقالتك التي عبرت فيها عن الشيخ أبي الحسن الخنيزي بعالِم الشعب وما معنى عالِم الشعب؟ هل هو الذي يعيش في برجه العاجي أو الذي يشارك الناس آلامهم وأفراحهم ولا سيما الطبقة الفقيرة منهم فالشيخ أبو الحسن الخنيزي هو الذي ينزل إلى أصحاب الأكواخ في أكواخهم فيعلمهم الدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة التي نص عليها الإسلام.

مع السيد/ حسن العوامي:

كما وقع الأستاذ/ سيد حسن العوامي في مقاله (القضاء الشيعي في القطيف) الواقع والطموح ص **٤٣** بمجلة الواحة العدد العشرين الربع الأول **٢٠٠١** م في مفهوم خطأ تاريخي حيث حصر مدة قضاء الإمام/ أبي الحسن الخنيزي في عام وتسعة أشهر وهذا خطأ يجانب الواقع وقد صححنا هذا المفهوم بالبراهين الواقعية وهناك برهان ملموس حيث كانت تلك الفترة منهجيتها أن يكتب القاضي مذكرة يطلب فيها من

كاتب العدل صكاً رسمياً لإثبات العقارات فيها ويعيدها القاضي لكاتب العدل لتسجيل ذلك العقار وقد وجدت أوراقاً رسمية في عام الستين بعد الثلاثمائة والألف هجرية وما قبل هذا التاريخ وما بعده صادرة ومثبتة من الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي اطلعت عليها عند بعض الناس حينما كنت أمارس المحاماة وإن كنت تقصد بالعام وتسعة أشهر بانحصار القضاء في الشيخ أبي الحسن الخنيزي دون غيره بعد رحيل ابن أخيه فهذا صحيح واحب أن أشير هنا إلى ظاهرتين ميزتا الإمام أبا الحسن الخنيزي والزعيم أبا عبد الكريم الخنيزي فقد وقع لكل منهما إيقاع فأبو الحسن جاء ابنه المرحوم العلامة الشيخ/ عبد الحميد قبل سفره للنجف لطلب العلم ولعله عام خمسة وخمسون بعد الثلاثمائة والألف هجري حيث سفره كان عام ستة وخمسون بعد الثلاثمائة والألف جاء يترافع مع شخص يدعى الشنخنخ وباختصار حكم الوالد على الابن وربح الدعوى الشنخنخ وهذا الحدث سمعته من نفس العلامة وكان يردده معجباً به.

كما وقع للشيخ أبي عبد الكريم ترافع عنده بين أبيه وشخص من إخواننا السنة وحكم أبو عبد الكريم على أبيه وربح الدعوى الآخر وهذه غاية النزاهة والعدل حيث لا يفرق الخنيزيان بين ذي رحمٍ أو بعيد.

عودة لرجال عاصرتهم والمجتهدين الأربعة:

كما حصرت يا أبا كامل المجتهدين في أربعة ونسيت العلامتين الشيخ محمد بن نمر، والشيخ حسن علي البدر وقلت عندما رحل الشيخ/ أبو عبد الكريم: أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ... أرسل ببرقية إلى أسرته وهذا خلاف الواقع إنما البرقية جاءت تعزية باسم الشيخ/ أبي الحسن الخنيزي والحقيقة بنتُ البحث وإن علماء القطيف هم الذين قادوا مسيرة الخير كل بما أعطاه الله من طاقات وخدموا هذا الوطن.. فجزاهم الله خير الجزاء.

اقتراح:

وبقي على فقرة واحدة هي اقتراح عليك يا أبا كامل: أن تصلح الأخطاء التاريخية منذ الحلقة الأولى حتى هذه الحلقة ومن ضمنها أن الزعيم علي بن حسن أبو السعود عين في المجلس البلدي بأمر ملكي وفي تلك الفترة كان التعيين والفصل وحتى رئيس البلدية وموظفيها وجميع أجهزتها تعيينهم وفصلهم خاضع إلى سمو أمير المنطقة الشرقية المرحوم الأمير/ سعود بن جلوى حيث لم تنشأ وزارة للبلديات واقتراحي أن تضمها وتجمعها في كتاب يرجع إليه وأنا ما كتبت هذا التعليق إلا للتصحيح وليس لهدف غير ذلك وحتى

تعرف الأجيال هذا التراث الضخم وتعرف الخطا من الصواب.

والله الموفق للجميع لما يحبه ويرضاه.

السّيرة الذَّاتيَّة للمؤلّف

الاسم: محمَّد سعيد ابن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيُّ.

تاريخ الميلاد: ١٩٢٥/٢/٢م

العنوان: المملكة العربية السُّعودية ـ المنطقة الشَّرقية ـ القطيف

الرمز البريدي: ٣١٩١١

ص.ب: ٨٧٩

تليفون ـ فاكس: ٨٥٥١٠١٣/ جوال/٠٥٣١٠٢٦٠٩٩

محمَّد سعيد الشَّيخ ابن الإمام عَلِيٍّ أبو الحسن الْخُنيزيُّ

موجز السيرة الذاتية

ولدتُ فِيْ اليوم والشهر مِنْ العام الَّذي حددتُ تاريخه بالميلادي فِيْ الصفحة الأُولى من هذه السِّيرة، ودرجتُ على هذا الكوكب تحت رعاية والدي الشَّيخ علي أبي الحسن الخنيزي.. الَّذي كان مرجعاً وقاضياً لجميع المذاهب مِنْ سنة وشيعة. ويرضون جميعاً بحكمه، أُصبتُ فِيْ السادسة مِنْ عمري تقريباً بأثمنِ كنزٍ فِيْ حياتي، وهيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة، وعندما بلغت السابعة مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب.. لأن ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، ويديرانهُ ويتعاقبان عليه الأخوان فضيلتا الشَّيخ محمد صالح البريكي صباحاً، وأخوه الشَّيخ ميرزا مساءً، وهذا الكُتَّاب يُعلِّم كتاب الله، ونمطاً مِنْ الخطِّ، وضرباً مِنْ أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضرب والقسمة، الَّذي هُوَ بعض دروس الرَّياضيات اليوم، كما يعطي لونًا مِنْ الشِّعْرِ العربي ويشرح بعض كلماته، ويطلب مِنْ الطُّلاب حفظ ذلك الشِّعْرِ، وللكُتَّاب أسلوب ومنهجية فِيْ دفعِ الأجورِ، وأيَّام

التَّعليم طيلة الأسبوع، والإجازة يومي الخميس والجمعة، ولا تتخلَّل الدِّراسة فسحات يرتاح فيها الطُّلاب مِنْ جهدِ الدِّراسة.

وقَدْ خرجتُ مِنْ هذا الكُتَّاب بعد أنْ اجتزت مراحله التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبياً عَنْ طريق الحفظ القلبي لا البصري، خرجتِ مِنْهُ وأنَا أبلغ الثَّالثة عشر، وبعد فترة هيأني والدي للدِّراسة، لأتخصص فِيْ العلوم الدِّينية، فدرست قواعد اللُّغة العربية، ومِنْ كتبها متن الأجرومية شرحه لدحلان، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك، ومغني اللبيب لابن هشام، كما قرأت بعض الكتب العقلانية والفلسفية، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق، وقرأت كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويوضّح لك سرّ البلاغة والنكت البيانية الَّتي تحتوي عليها، وقرأت كتاب النظام وهو يبحث في تصريف الكلمة ويسمى علم الصرف، ومعالم أصول الفقه وهذا الكتاب قرأته على يد والدي الإمام الخنيزي، كما قرأت شريحة من كتب الفقه، وكتباً من أصول الفقه، وفوجئت وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي فكان لموته انحساراً كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل الذي جفَّ ماؤه وبرغم ما عانيته من الثالوث غير المقدس «الفقر ـ وأصابتي بالعين ـ وفقد أبي» واصلت دراستي العلمية، وكنت أقتل أوقاتي فيْ الدروس، كما أنني أدرس ثلَّة منْ الطلاب، سنشير لهم في الصَّفحة المخصَّصة لهم، وإنَّني إذ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعت سيرتي الذاتية

في كتابٍ، يتكوَّن من مجلدين أسميته «خيوط من الشَّمس» يحتوي هذه الحياة البسيطة، وما عانيت مِنْ حلوٍ ومرٍّ، ومررت فيه بقنوات تاريخية تمر بحياتي الذَّاتية، أو ما يتصل بالقنوات التاريخية لها ارتباط من قريب أو بعيد بهذه السِّيرة.

الوظائف:

لم ألتحق بوظيفة من الوظائف، إنَّما امتهنت عملاً حرّاً غير مرتبط بدائرة، أو مؤسسة، وهو المحاماة، وهيَ المرافعة فِيْ القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعية.

أبرز المواقف:

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قراراً حاسماً، بعد أنْ مرَّت بي عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل «المحاماة» مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.

الأساتذة:

الأساتذة الَّذين تلمذت عليهم، هم: والدي الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، والعلاَّمتان الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ / فرج العمران، والعلاَّمة

الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ / محمَّد صالح البريكي، وهؤلاء العلماء كلهم من أهالي القطيف، ولكن أستاذي الَّذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا، هُوَ والدي.. فهو لي كجامعة من المعارف.

أبرز التلاميذ:

إنَّ التلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثْر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون.. غير أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الله الشَّيخ علي الخنيزي، حيث أسهم فِيْ الحياة الفكرية بثروة إثرة في حرفٍ في كتبٍ متعددة الألوان.. خدم بها اللُّغة العربية والفكر، والشَّيخ عباس المحروس حيث أصبح خطيباً، وعبد الغني أحمد السنان حيث أصبح أحد الشَّخصيات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية، ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصية من الشَّخصيات الوطنية بالقطيف، والشاعر الأستاذ عبد الواحد الشيخ حسن الشيخ علي الخنيزي هو أحد رواد الفكر القطيفي وشخصية من الشخصيات الوطنية، ومهنا الحاج حسن الشماسي، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفياً غير محدود، وفؤاد عبد الواحد على نصر الله، حيث صار صحفياً، والأستاذ سعود عبد الكريم الفرج، حيث أصبح كاتباً ومؤرخاً، ومحمَّد وحسن أبناء الشَّيخ فرج العمران، وجاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر، وجمال عبد اللطيف وحسن أحمد

الطويل، وقاسم بن ملا محمد العيثان، والدكتور حسام سعيد سلمان آل حبيب حيث أصبح طبيباً من أبرز أطباء المملكة، وعلي زكي الخنيزي، ومحمد علي محمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، وعلي محمد المحمد علي، ومحمد وحسن ابني نبيه محمد سعيد الخنيزي، وهناك طلاب آخرون لا تسع هذه الصَّفحة لذكرهم

السيرة العملية:

إنَّ سيرتي العملية: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حرٍّ ـ وهيَ المحاماة ـ فإنَّني لَمْ ألتحق بوظيفة في القطاع الخاص أو العام على حدٍّ سواء، إنَّما استعملت معارفي العلمية في المحاماة، وصرت لا أقبل مرافعة في قضية، إلاَّ بعد دراستها، ومعرفة وسائل حججها ووثائقها، فإذا طبقتها حسب معرفتي على القواعد الشَّرعية، وبان لي موافقتها على ذلك قبلتها، وترافعت فيها، ومن أجل ذلك كسبت أكثر القضايا بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات:

لا بُدَّ من إشارة مقتضبة: لما قام به المفكرون والأدباء من دراسات عميقة عن أعمالي الأدبية، وقد أشير لبعضها في مقدمة ديوان مدينة الدراري، إلى الدراسة الَّتي كتبتها البنت فردوس، والدِّراسة الَّتي في مقدمة كانوا على الدرب، للدُّكتور/ حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، ودراسات متفرقة، لم يُجمع

شتاتها فِيْ كتيب يبقى رصيداً ومرجعاً، لمن أراد الدراسة عن هذه الأعمال، وهذه الدراسات نشرت على صفحات الصُّحف الداخلية والخارجية، وفي كتب كثر، كما أذيعت حلقات دراسية من إذاعات عربية.. وغير عربية، ومن راديو المملكة من جميع محطاتها، ومن راديو لندن في رياض الشِّعْر، وأكثرها أشير لها في كتاب «خيوط من الشَّمس» كما شاركت في عدَّة ندوات فكرية وأدبية، أبرزها مؤتمر الشعر في الخليج الذي أقيم في مدينة الرياض تحت رعاية رئيس رعاية الشباب الأمير فيصل بن فهد عام ثمانية بعد الأربعمائة والألف هجرياً الندوة الفكرة الأدبية الَّتي أقامها لي النَّادي الأدبي بقاعة الجمعية الخيرية بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ، وأقام النادي نفسه ندوة أسماها بعيون الشعر في محافظة القطيف بقاعة مركز الخدمة الاجتماعية ألقيت فيها قصيدة اسمها عَلى كف عفريت كما تم تكريمي من وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري بصفتي أحد رواد الفكر في المملكة مع ثلة من رواد المملكة في معرض الكتاب بمدينة الرياض تحت رعاية خادم الحرمين وقد حضر عنه بالنيابة الأمير سطّام نائب أمير مدينة الرياض وقد صدر كتاباً عن الرواد يتضمن نبذة عن حياتهم مع صورهم الشمسية، كما منحتُ شهادة تقدير من الذكتور خالد وزير التعليم العالي وجائزة (درعاً وكأساً وميدالية) كتب عليهما اسمي.

تكريمي عن طريق منتدى حوار الحضارات برئاسة/ الأستاذ فؤاد عبد الواحد علي نصر الله:

نشر هذا التكريم مع قصيدة مهرجان البيان التي ختم بها الشاعر وحيا بها المحتفلون، وقج جُمع ما ألقاه الأساتذة والشعراء والكتّاب في ملف خاص بمجلة الواحة العدد الحادي والستون السنة السابعة عشر ربيع ٢٠١١.

فهذا المنتدى له نشاط فكرب طار صداه فملأ آفاق المملكة ذكراً ومجداً وقد سبق أن احتفل بي أيضاً وكرمت في النادي الأدبي للمنطقة الشرقية بمدينة الدمام، كما أقام لي النادي السابق ذكره أمسية شعرية في مقر جمعية القطيف بمحافظه القطيف وكرمت على صعيد أفق عالمي مع رواد الفكر والمؤلفين السعوديين وقد قام بهذا التكريم معالي وزير التعليم العالي الدكتور/خالد العنقري وقد اقترن هذا التكريم مع افتتاح معرض الكتاب الدولي بمدينة الرياض برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولم يكن أحد من المنطقة الشرقية سواي وعبد الرحمن العبيد وحين ذاك كان رئيس النادي الأدبى والرواد من المنطقة الوسطى والغربية وبعد تكريمنا قام سمو الأمير/ سطام نائب أمير الرياض بتوزيع الهدايا علينا نيابة عن خادم الحرمين الشريفين، كما أصدر كتاب يتضمن حياتنا باختصار اسمه (الرواد للمؤلفين السعوديين).

وقد شاركت مشاركة فكرية أدبية بدعوى رسمية بناء على

طلب سمو الأمير/ فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب، بخطاب رقم ٧٢٦٤ وتاريخ ١٤٠٨/٤/٢٩هـ بقصيدة شعرية والتي ألقيتها بنفسي وقد أسميتها في ظلال عكاظ في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج في جلسة الافتتاح الذي أقيم بقاعة الملك فيصل للاحتفالات بمدينة الرياض بتاريخ ١٤٠٨/٦/١٥هـ وهو أول مهرجان فكري يقام من نوعه في الخليج، وكان لها الصدى العميق في الأوساط الفكرية والأدبية واستعيدت أبياتها عدة مرات.

الإذاعات التي أذاعت عن أعمالي الفكرية والأدبية:

كما أذاعت شعري الإذاعات العالمية كإذاعة لندن، وإيران وغيرها من الإذاعات العربية كإذاعات القاهرة والكويت والبحرين كما احتفلت بها جميع محطاتنا الإذاعية بالمملكة العربية السعودية. كما نشرت آثاري في أمهات الصحف الكبرى كمجلة الأديب، المعارف والألواح والعرفان اللبنانيات ومجلة الكتاب للأستاذ عادل الغضبان في القاهرة والهاتف والغري العراقيتين والرائد والعربي الكويتيتين ومجله صوت البحرين وغيرها من المجلات والصحف العربية وفي أكثر صحف المملكة العربية السعودية كاليوم وأخبار الظهران ومجلة الواحة ومجلة الخط.

وقد كَتب عن إصدارات كتبي وأشعاري مفكرون ودكاترة كثر أشرتُ لبعضهم هنا وبعضاً في خيوط من الشمس، وشريحة من

مفكري القطيف إما تكريمي في وطني القطيف فهذا أول تكريم لي يسبق به الولد العزيز الأستاذ / فؤاد نصر الله أحد الوطنين وكان له السبق والشكر وقد نجح هذا التكريم فكان له صديً في أوساط الآفاق الفكرية على صعيد المملكة وكان التكريم ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شوال سنه واحد وثلاثون بعد الأربعمائة والألف الموافق ثلاثين تسعة سنة ألفين وعشرة، وقد تسابق وتبارى في منتدى التكريم المفكرون والأدباء والشعراء فكان الذي يدير حفل التكريم الأستاذ/ محمد بن ميرزا الغانم فأبدع وأجاد في إدارته وفي أسلوبه الأدبي الرفيع.

ومن الشعراء الذين اشتركوا في هذا المهرجان الأساتذة:

مصطفى أبو الرز، على مهنا، وأحمد أبو السعود، وفريد النمر، محمد مهدي الحمادي.

ومن الكتاب الأساتذة:

خليل آل فزيع، سعود الفرج، محمد الشماسي، عدنان العوامي، أحمد الشمر، فؤاد نصر الله رئيس منتدى حوار الحضارات عباس الشماسي رئيس جمعية محافظة القطيف، سعيد أحمد بن ناجي أبو السعود والكاتب في جريدة اليوم الأستاذ عبد الله بن أحمد شباط.

وختام الحفل ختمته بكلمات فيها شكر لصاحب المنتدى الفكري وللمفكرين والشعراء والأدباء وإلى كل من شارك في

الحفل وحييتهم بقصيدة منبعثة من قلبي تحية وشكر لأصحاب البيان والفكر والتي أسميتها مهرجان البيان.

وكان لهذا التكريم أصداء فكرية وأدبية انعكست على المسموع والمقروء والمرئي فغطت الصحف هذا الموسم التكريمي كصحيفة اليوم والوطن والحياة وصحيفة الوسط البحرانية في العدد ٢٩٥٥ وغيرها من الصحف المحلية والخليجية، والشبكة العنكبوتية وعلى صعيد ألوان مواقعها المختلفة وفى طليعتهم منتدى حوار الحضارات، راصد وشبكة التوافق وغيرها من المواقع الإلكترونية كما اشترك التلفاز السعودي فزارني في بيتي وأجرى معي حواراً عن التكريم وعن حياتي الأدبية والفكرية في يوم الاثنين ١٤٣١/١٠/٢٥هـ الموافق يوم الربع من شهر أكتوبر عام عشرة بعد الألفين وأذيعت هذه المقابلة مساء الأربعاء سبعة وعشرين من الشهر المشار إليه والعام المذكور الموافق ستة أكتوبر من العام المشار إلية وأعيدت الحلقة في مساء ليلة الخميس الساعة الثانية والعشر دقائق وقد بقيت أعمالُ فكرية وأدبية لم تُلقى حيث لم يتسع لها الوقت وتم تقديم الاعتذار لهم.

الكتّاب الذين كتبوا عن أعمالي:

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما نذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء وهي:

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د / بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي ـ الرياض	ط١ ـ ١٤١٢	٣٢٧
الشيخ عبد الله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط١ ـ ١٣٩٧	٢٣١
د / بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة ع.س	دار صادر بيروت	ط١ ـ ١٣٩٣	٣٨٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق الرياض	ط٢ ـ ١٤١١	٤٠٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط١ ـ ١٤١٠	٢٣٠
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	ط٢ ـ ١٣٨٢	٢٤٧
الأستاذ / عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب ج	جامعة الدول العربية	ط١ ـ ١٩٥٩	٢٨٩

الأستاذ / عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية - الخبر	ط١ - ١٤٠٦هـ	٢٧٤
د / عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق ١	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط١ - ١٩٧٣م	٣٦
د / عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة ع.س	دار الكتاب السعودي	ط١ - ١٤٠٦هـ	٨٢
خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير - الرياض	ط١ - ١٤٠٩هـ	٨٩
د / عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر - جدة	ط١ - ١٤٠٦هـ	٢٤٤
عبد العلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق - الرياض	ط١ - ١٤٠٦هـ	٣٠٠
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي - الرياض	ط١ - ١٣٧٧	٥٨

د/ شيخ عبد الهادي فضلي	في جريدة اليوم عدد (٢٥٠)		١٣٨٨	
الأستاذ/ الخياط	في صحيفة البلاد السعودية			
د/ شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د/ علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط٢ ـ ١٤١٨هـ	١١٥٤، ٤٦
د/ علي جواد الطاهر	عالم الكتاب	المجلد٣ ع ٤	١٤٠٣	٥١٨، ١٩
السيد حسن أبو الرحى	المنهل	المجلد الثاني		٧٥
الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		١٥٠
أ/ أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١ ـ ١٤١٣هـ	١٥٩
الدائرة للأعلام	معجم الكتّاب والمؤلفين	الدائرة للأعلام المحدودة	ط٢ ـ ١٤١٣هـ	٥٢

عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء ـ الخبر	ط١ ـ ١٤١٤هـ	٨٥
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			
السيد محمد الصويغ				
الأستاذة / فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام	ط١ ـ ١٤١٤هـ	٩
د / حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	ط١ ـ ١٤١٦هـ	٩
أ/السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة بيروت	ط١ ـ ١٤٢٣هـ	٤٠
سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط١ ـ ١٤١٧	٣٢٣
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط١ ـ ١٤١٨	٢٦٣
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الإحساء	مطابع الوفاء الدمام	ط١ ـ ١٤٢٤	١١٢ ـ ٤٠٨، ٠٩
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتّاب	دار المنار القاهرة	١٤١٢	٣٢٣

خالد أحمد اليوسف	دليل الكتّاب والكاتبات	الجمعية العربية	١٤١٥	١٠٨
د/محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	١٤٢٠	٨٥
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	١٩٩٥	١٨٦
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	٢٠٠٢	٦٠٥
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	أطياف للنشر والتوزيع القطيف	٢٠٠٦ م	٣١٣
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	٢٠٠٦	٣٩، ٤٠
الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	١٤٢٢	٢٩١، ٢٩٢
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد ٣١ رجب	١٤٢٥	٢٢

الشيخ علي البلادي	أنوار البدرين ـ مؤسسة الهداية		بيروت ٢٠٠٣م ط١	٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٢٩، ٤٢٩، ٤٣٣
حبيب آل جميع	معجم المؤلفات الشيعية		ط ١ ـ ١٩٩٧	٤١٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٣
عبدالله بن أحمد الشباط	آفاق خليجيه	مطابع الوفاء	ط ١ ـ ١٤١٥	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨
نزار آل سنبل	أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر	المركز الثقافي للنشر والتوزيع ٢٠٠٣		٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨
كمال سليمان الجبوري	معجم الأدباء الجزء الخامس	دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ		٣٢٦
الدكتور جودت القزويني	تاريخ القزويني	المجلد الخامس والعشرين		من ٩٣ إلى ٩٩

كما كتب الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد خوجه صاحب الندوه الأثنانيه الفكرية تقريضاً لبعض اصداراتي نرفق صوره من تقريضه وكتب الشيخ جعفر الربح مقدمة لديواني إيحاءات سماوية سجل في هذه المقدمة رؤياه الأدبية وأنا أعتز بهذه الرؤية الفكرية كما نشرت هذه المقدمة في مجلة الخط عدد الثالث عشر عام ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢م مضافاً إلى ما كتبت الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية. كما قرض الأدباء أعمالي الأدبية ومن ضمنهم الأستاذ عباس العسكر حينما قرأ ديوان تهاويل عبقر فقال هذين البيتين:

قــرأتــكَ شــعــراً يــدقُ الــقــلــوب
ويــنــطــقُ فــيــهِ شــعــور الــنــغــم

وجــدتُــكَ مــثــل الــنــســيــم الــذي
تــهــادى بــرفــقٍ فــهــزَ الــقــلــمْ

ونقل هنا الرأي الأدبي للأستاذ عبد المقصود محمد خوجه بالنص الحرفي في إصداراتي التي قرأها وهذا نصها حرفياً:

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الخنيزي حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكر لكم إهدائي كتبكم اللافتة «تهاويل عبقر» الذي احتوى على ثمان وخمسون قصيدة تنوعت موضوعاتها بين

الوجدانية والذاتية والرثاء وتميزت بجزالة مفرداتها ووضوح معانيها والمعري الشاك الذي تناولتم فيه الشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري من خلال اللزوميات واستنطقتم الشاعر على أحسن ما يكون وكان لكم ما أردتم والشعر ودوره في الحياة رومانسيون والذي تحدثتم فيه عن عدد من الشعراء ومؤلفاتهم سائلاً المولى أن يزيد في عطائكم لما يشكله من إضافة قيمة للساحة الثقافية العربية.

ولكم تحيات وتقدير

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كما نرفق صورة من النص الأدبي التقريضي.

كما كتب العلامة الأستاذ الشيخ جعفر ملا حسن الربح مقدمة شمليه جسدت حياتي بأسلوب فني نشرت لي ديوان إيحاءات سماوية المنشور عام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣م مطابع المصطفى للتحقيق والنشر كما نشرت في أحد أعداد مجلة الخط.

أعمالي العلمية والأدبية:

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة - بيروت	١٣٨١ ١٩٦١	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية - بيروت	١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا - الدمام - السعودية	١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م	شعر
تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ بيروت	١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م	شعر
أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء بيروت	ط١ ١٤٢٨هـ	شعر
إيحاءات سماوية	مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر	ط١ ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م	شعر
«خيوط من الشمس» قصة وتاريخ	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م	مجلدين نثر

الشعر ودوره في الحياة: أنجز منه مجلدين (المجلد الأوَّل - في جزأين) يحتوي على العصر الجاهلي، وعصر النور «الإسلام» والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثَّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية. المجلد الثاني (في جزأين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاصٌ بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين.

العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م	نشر
ذكرى أبو نسيم	الخبر	١٤٢٧ هـ	نشر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٥ هـ.٢٠٠٤ م	نشر
أشباح في الظلام	دار المحجة البيضاء	ط ١ - ١٤٢٧ هـ	نشر
المعري الشاك	دار المحجة	ط ١ - ١٤٢٨	نشر
دراسات في شعر أبي نواس	دار المحجة البيضاء	١٤٣٠ هـ ط١ ٢٠٠٩ م	نشر
ومضات وراء الغيوم	دار المحجة البيضاء بيروت	١٤٣٢هـ ٢٠١١,م	قصة مسرحية نشر
أيام في لندن	دار المحجة البيضاء بيروت	١٤٣٤هـ ٢٠١٣م	نشر
لمحات من وراء القرون	دار المحجة البيضاء بيروت	١٤٣٤هـ ٢٠١٣م	نشر

أطياف وراء السديم	مخطوط		شعر
أيام من الماضي	مخطوط		نثر
من ذاكرة التاريخ	مخطوط		نثر
تأملات	مخطوط		نثر
أحداث تاريخية	مخطوط		نثر
ثمانية وثلاثون يوم في مدينه الضباب			

شهادات الإجتهاد نقلت أولاً من كتاب صفت الإلاء للعلامة الأستاذ الشيخ/فرج العمران ومن كتاب ذكرى الإمام للعلامة الشيخ عبدالله الخنيزي.

الأولى من شيخه الأعظم الاخوند ملا محمد كاظم الخراساني أعلى الله مقامه وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي شرع منهج الاجتهاد لطفاً منه على بريته وتسهيلاً لطريق الصول إلى ما فرضه من سنته والصلاة والسلام على من أرسله خير هاد للحاضر من أهل الدين والباد وعلى الصفوة المنتجين من آله الدعاة إلى شريعته والجادين على منواله.

أما بعد فإن الله قد منَّ على نوع الإنسان بأناس حبب في قلوبهم الإيمان وكرّه لهم الفسوق والعصيان قد استفرغوا وسعهم في جمع شتات الأحكام وأذعن لهم الخاص والعام فشيدوا قواعد شرعية سيد المرسلين وسيلقون السعادة في يوم الدين نهضت بهم الخشية من جبار السماء كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

وممن منَّ الله عليه بهذه الرتبة وشرح بما ألهمه من العلم قلبه جنان زبدة العلماء الأعلام ونخبة الفضلاء العظام جناب الشيخ علي سلسيل المقدس المبرور الحاج حسن الخنيزي القطيفي فإنه تجرع صاب الجد في العلم حتى أدرك شهده وأجرى جواد عزمه في مضمار الفقه حتى بلغ قصده وغاص ثاقب فكره في بحر المعقول والمنقول فانتقى من لألئهما ما يكون بعين القبول فبلغ درجة الإجتهاد والاستنباط في الأحكام وصار من اهل الذكر الذين عرفوا الحلال والحرام فليحمد الله على ما أعطاه وليشكره على ما أولاه وحيث إنه دام مجده استجاز مني في رواية الأخبار تأسياً بالسلف الصالحين الإبرار وتيمُناً بالدخول في تلك العنعنة الشريف المتصلة الى الأئمة الأطهار ورأيته أهلاً لذلك فأجزته أن يروي عني جميع كتب الأخبار لاسيما الأربعة ـ المشتهرة،

اشتهار الشمس في رابعة النهار ـ والوافي، الوسائل، والبحار، وغيرها، من كتب علمائنا الأخيار.

وأسأله الدعاء، في: الخلوات وأوقات الصلوات والصلاة والسلام على محمد، وآله الهداة.

حرر في يوم التاسع عشر من شهر جمادى الأول سنة ١٣٢٥هـ

«ثم ختمها بخاتمه الشريف»

الثانية: من شيخه، حجة الإسلام، الشيخ ملا محمد تقي، آل المرحوم الشيخ أسد الله.

وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يامن جعل العلماء ورثة الأنبياء وثناءً عليك، يامن خصهم بخشيته، حيث قال: (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ) وأشرف الصلاة، على أشرف المخلوقات، صنائع قدرتك، وهوامع رحمتك: محمد وعلي، وآلهما الأمناء.

وبعد: فإني لو حاولت بيان شرف العلم وأهله، لكنتُ قد حاولت مرقىً شامخاً نازحاً، ورميت بطرفي ـ من الصعاب الشوامخ ـ مرمىً طامحاً، على أني لو أتيت به، لكنت قد

أوضحت ما هو واضحٌ، ولو شرحته، لطفقت أشرح المعرف الشارح.

ولكن من حق العلم، وحفظ ذمامه: دلالة الناس، على، معالمه، وأعلامه.

لذا رمتُ أن أدل المعتصمين بولاية أهل الذكر، على أرج هذا العطر: عنوان صحيفة الكمال، وديباجة كتاب الفضل والأفضال، عمدة العلماء الأعلام، وزبدة الفقهاء الكرام، جناب الشيخ علي، سليل المقدس المبرور: الحاج حسن الخنيزي، القطيفي.

فإنه اشتغل في طلب العلم: ليله ونهاره، وجعل التحصيل دثاره، وشعاره، حتى صار ذا ملكة قدسية اجتهادية، في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية، عن أدلتها التفصيلية، مع تقوى وصلاح، وتوفيق ونجاح.

فليحمد الله على ما أعطاه، من النعم العظام، وليشكره على ما أولاه من الآلاءالجسام.

وحيث إنه ـ دام مجده ـ استجاز مني، في رواية الأخبار، تأسياً بالسلف الصالحين الأبرار، وتيمنا بالدخول في تلك العنعنة الشريفة، المتصلة إلى الأئمة الأطهار، ورأيته أهلاً لذلك، أجزته أن يروي عني، جميع كتب الأخبار، لاسيما

الأربعة، المشتهرة اشتهار الشمس في رابعة النهار والوافي، والوسائل، والبحار، وغيرها، من كتب علمائنا الأخيار.

وأسأل الله له التوفيق الأبدي، والتأييد السرمدي، كما أني أسأله الدعاء في الخلوات أوقات الصلوات والصلاة والسلام على محمد، وآله الهداة.

حرر في اليوم التاسع عشر من شهر جمادي الأول سنة ١٣٢٥هـ

(ثم ختمها، بخاتمه الشريف)

الثالثة: من شيخه حجة الإسلام ملاذ الشيعة وركن الشريعة الشيخ فتح الله، الشهير، بشيخ الشريعة.

وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على عميم آلائه وجزيل نعمائه، وله الشكر - ملأ أرضه وسمائه - وأفضل صلواته وتسليماته، على أشرف أنبيائه، وأفضل سفرائه: محمد، الهادي إلى سبيل الرشد، وعلى المعصومين من عترته وخلفائه، وذريته وأوصيائه، الباذلين نفوسهم في إعلان الشرع وإعلائه وبعد:

فإن العالم العامل والفاضل الكامل أبا الفضائل والفواضل، عمدة العلماء المحققين، وزبدة الفقهاء المدققين،

صاحب القريحة القويمة، والسليقة المستقيمة، والحدس الصائب، والنظر الثاقب، المهذب الثقة الصفي: الشيخ علي القطيفي، قد نفر عن وطنه، وهاجر عن مسكنه، وفارق الأقران والأتراب، واقتعد غارب الإغتراب، وحضر على جماعة من الأعيان، وعلى هذا الضعيف، مدة من الزمان، وكد وجد، وتعب واجتهد، حتى فاز بالمأمول والمرام، وبلغ درجة الإجتهاد، والإستنباط، في الأحكام، وصار من أهل الذكر، الذين يرجع إليهم في الحلال والحرام.

فليحمد الله تعالى على ما آتاه من: النعم العظام، والآلاء الجسام. وأوصيه بالوقوف على جادة الإحتياط، الحافظ سالكها، عن زلل الصراط، وبأن لا ينساني من الدعوات الصالحات، في حياتي، وبعد الممات.

ثم إني أجزت العالم، العامل، المذكور ـ أعني: جناب الشيخ علي ابن المرحوم الحاج حسن الخنيزي، القطيفي: أن يروي عني كل ما صحت لي روايته، وكل ما سمع مني وطرق روايتي كثيرة شهيرة أقتصر على إحداها ـ وهي: ماأرويه، عن السيد العلامة، الجامع بين: المنقول والمعقول، اليسد مهدي القزويني، الحلي، الغروي ـ عن عمه: العلامة، السيد باقر القزويني، عن العلامة الطباطبائي، بحر العلوم، عن الوحيد المجدد الآغا محمد باقر الأصبهاني، الشهير بالبهبهاني، عن

أبيه المولى: **أكمل**، عن جماعة من الأكابر، أحدهم: الإمام، الماهر، غواص بحار الأنوار، شيخنا المجلسي ـ قدس سره ـ بجميع طرقه المذكورة، في فاتحة (الأربعين)، وخاتمة (البحار) وأوصيه، ثم أوصيه، بأن لا ينساني، من الدعوات الصالحات، في حياتي وبعدالممات.

وحررت بقلم المجيز، في سادس جمادى الأول، سنه ١٣٢٥هـ

ثم ختمها بخاتمه الشريف

الرابعة: من شيخه، حجة الإسلام، البحر العباب، السيد أبو تراب، بن أبي القاسم الخوانساري قدس سره.

وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي المجد والجلال والجود والنوال، الذي جعل العلم سلماً، إلى معرفة الحرام والحلال، وسبباً يتوصل به، إلى الإرتقاء إلى مدارج الكمال، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعبده المجتبى، الذي أرسله إلى الورى، لهداية الأنام، وتبليغ الأحكام، وتمهيد قواعد الإسلام بعثه للخلق: بشيراً، ونذيراً، وداعياً ـ إلى الله ـ بإذنه، وسراجاً منيراً، محمد وآله الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

وبعد:

فمن أعظم حقوق الله، على المؤمنين، وأحق الأمور لدى أهل الدين إظهار شؤون المهتدين، وترويج علماء الدين، ونصب من يتولى إرشاد المسلمين اقتفاءً للنبين، واقتداءً بالأئمة الطاهرين.

وحيث إن ممن تم فيه الموازين: جناب العالم، الفاضل، التقي، الزكي، اللوذعي، الألمعي، شمس فلك الإفادة والكمال، وقطب دائرة الفضل والأفضال، صاحب المناقب الوفيرة، والمفاخرة الكثيرة، والنفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، والأخلاق الطاهرة الإنسية، والصفات الملكية الروحانية، عز الدنيا والدين، ثقة الإسلام والمسلمين، الشيخ الجليل، الصالح التقي، الشيخ علي ابن المرحوم الحاج حسن الحنيزي البحراني القطيفي، أدام الله أفضاله وكثّر في العالمين أمثاله فإنه ـ دام فضله ـ قد هجر الأوطان، وحضر عندي، وعند جماعة من الأعيان، في علوم: الفقه، والأصول، والرجال، في مدة من السنين، مبتغياً رضاء رب العالمين، إلى أن صار ـ بحمد الله تعالى ـ ذا ملكة قدسية اجتهادية، في استنباط الأحكام الشرعية، عن أدلتها التفصيلية.

فهو مجتهد، يحرم عليه التقليد، في ما يستنبطه، وللناس أن يرجعوا إليه في ما يحتاجون إليه، من معالم الدين، وله

القضاء، والفتوى، والتصرف في ما يحتاج إلى إذن المجتهد، بما يشاء.

وحيث إنه ـ دام مجده ـ استجاز مني، في رواية الأخبار، تأسياً بالسلف الصالحين الأبرار، وتيمناً بالدخول في تلك العنعنة الشريفة، المتصلة إلى الأئمة الأطهار، ورأيته أهلاً لذلك، فأجزته: أن يروي عني: جميع كتب الأخبار لاسيما الأربعة، المشتهرة، اشتهار الشمس، في رابعة النهار والوافي، والوسائل، والبحار، وغيرها، من كتب علمائنا الأخيار، ومصنفاتي ـ لا سيما ما برز من كتاب(سبل الرشاد، في شرح نجاة العباد) المشتمل على أكثر أخبارنا، عن مشايخي في الرواية، عن مشائخهم، إلى الأئمة المعصومين.

ولي طرق أعلاها سنداً: ما أخبرني به ـ إجازة ـ فقيه أهل العراق، وأزهد من رأيته على الإطلاق: الشيخ محمد حسن الكاظمي، ثم النجفي، والفقيه النبيه الأواه: الشيخ لطف الله المازندراني، ثم النجفي ـ أعلى الله مقامهما ـ عن شيخيهما، العلامتين: الشيخ محمد حسن، صاحب الجوهر، والشيخ مرتضى الأنصاري، الدزفولي ـ طاب ثراهما والشيخ محمد حسن، يروي عن أستاذه بحر العلوم وهو يروي ـ تارة ـ عن أستاذه المحقق البهبهاني، عن أبيه: الشيخ محمد أكمل، عن: العلامة المجلسي، صاحب البحار، عن والده التقي،

عن شيخنا المحقق البهائي، عن والده الشيخ حسين بن عبد الصمد، عن شيخنا: الشهيد الثاني وأخرى عن شيخه في الإجازة، جدي الثالث العلامة الداري: السيد حسين الخوانساري، عن والده المحقق، الفقيه، الأديب، البارع، جدي الرابع: السيد أبي القاسم الخوانساري، والوالد، والولد ـ معاً ـ عن: الشيخ المحدث، الفقيه، المولى محمد صادق، بن محمد، بن عبدالفتاح التنكابني، الشهير بالسراب، عن والده: المشهور بالعلم والتقوى، عن: شيخه الأمجد، المحقق، السبزواري، عن جملة من مشائخه الأعلام، منهم: الشيخ يحيى بن حسن اليزدي، والسيد حسين الكركي، عن الشيخ بهاء الدين العاملي، عن والده، عن شيخنا الشهيد الثاني. والشيخ مرتضى الأنصاري، يروي عن شيخه المحقق النراقي الثاني، عن والده المحقق عن المحقق البهبهاني، بطريقة المتقدم، عن الشهيد الثاني.

ويروي الشهيد الثاني، عن: المحقق الميسي، عن: الشيخ شمس الدين بن المؤذن الجزيني، عن: الشيخ ضياء الدين علي، عن والد، الشهيد الأول: الشيخ شمس الدين، محمد بن مكي (رضي الله عنه)، عن: فخر المحققين، عن والده: العلامة الحلي، آية الله، في العالمين، عن: الشيخ الكامل، رئيس المحققين نجم الملة والدين، أبي القاسم،

جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي، عن السيد الجليل: فخار بن معد الموسوي، عن الشيخ الأوحد: في الفضل، شاذان بن جبرئيل القمي، عن الشيخ الفاضل: العماد: أبي جعفر، محمد بن أبي القاسم، الطبري، عن الشيخ الأجل: أبي علي، الحسن، عن والده: شيخ الطائفة، محمد بن الحسن، الطوسي (رضي الله عنه) وهو يروي عن شيخنا: المفيد، عن الشيخ الأفضل: جعفر بن قولويه، عن ثقة الإسلام: الكليني (رضي الله عنه)، وعن شيخنا: المفيد، عن رئيس المحدثين: الصدوق - نور الله مرقده - بطرقهم المعلومة، في الفهارست، عن الأئمة المعصومين.

وأرجو من جنابه: أن لا ينساني، من الدعاء، في مظان الإجابة، وأشترط عليه ما اشترط على مشائخي، من لزوم طريق الإحتياط وإن كنت عالماً بأنه - دام مجده - ليس بناكب عن الصراط، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

وحررت بقلم المجيز، في الخامس عشر
من شهر شوال، سنة ١٣٢٣هـ
(ثم ختمها بخاتمه الشريف)



تذكرة النفوس – خاصة بمقاطعة الأحساء

الاسم واللقب	القد
اسم الأب	العينان
اسم الام	الشعر
تاريخ الولادة ومحلها	الأنف
المذهب	الوجه
المهنة	اللون
متأهل أم أعزب	اللحية والشارب
متعلم أم أمي	العلامة الفارقة

وثيقة تاريخية نرفقها بهذه الأطروحة

الفهرس

جدول تصحيح الصواب والخطـأ

	الصفحة	الخطأ	الصواب
١	٢٥	اِلخَطُّ يبقى سنياً بعد كاتبهِ	الخَطُّ يبقى سنيناً بعد كاتبهِ
٢	١١٧	فعشيهم من اليم ما غشيهم	فغشيهم من اليم ما غشيهم
٣	١٢٣	وفيَّ المشيب يجيئُ الحِسُ والنَّكَدُ	وفيَّ المشيب يجيئُ الهمُ والنَّكَدُ
٤	١٢٦	وثلاثمائة وأربعة وأربعون	وثلاثمائة وأربعة وأربعين
٥	١٢٩	ما عدا الشيخ حين لأنه	ما عدا الشيخ حسين لأنه
٦	١٢٩	فتشبع الشيخ حين ضرباً	فتشبع الشيخ حسين ضرباً
٧	١٢٩	غيري جنا وانا المعاق	غيري جنىَ وأنا المعاقبُ فيكمُ
٨	١٣٠	زرت زيد في التنور	ضرط زيد في التنور
٩	١٣٠	ولكن الشيخ حسن	ولكن الشيخ حسين
١٠	١٣٠	وعربه زرت فعل	وعربه ضرط فعل
١١	١٥١	معه الصلاة بأتمامه	معه الصلاة بإمامته
١٢	١٥٣	ساعةً فخلدُ فيها	ساعةً فيخلدُ فيها
١٣	١٦٢	رسمتها ريشِ التاريخ	رسمتها ريشّ للتاريخ
١٤	١٧٠	سعود بن جلوى	سعود بن جلوي

لقد تم مراجعة كتاب العبقري المغمور مع السكرتير علي صلاح والولد أديب وأنا محتاج الى الغير لأني لا استطيع اقرأ بنفسي لإصابتي بعيني فصححنا ما ظهر لنا من بعض الاغلاط وتركتُ للقارئ ما خفيَ على المراجعين لكن ربي عوضني على ذلك بنعمة التأليف فله الحمد والشكر

الاسم العبقري المغمور..يرمز ويشير الى هذا الشعب أي (القطيف) الذي تولد من سمائه عباقرة وأدباء ولكن لم تنشر حياتهم وذكرهم على أفق الحياة الفكرية العامة.

وأبي لو لم تصدر له هذه الإصدارات من تراثه هذا التراث الضخم وكسر القمقم وصار كالضوء بدون حاجز يحجزه وخرج عن وطنه ويعيش على سماء ممتدة على فكر أفق إسلامي واسع لكان نصيبه كنصيب من قبله.

فهو في بحثه كالشيخ الضرير أبصر في تلك المنعطفات ظلالاً باهتة لا تغنيه شيء,فلهذه العوامل زاد شعبنا القطيف غموراً على غموره فلو كان ابي من احدى الشقيقات كالقاهرة أو بيروت أو دمشق أو بغداد لكان رجع صداه موازياً لما ترك من ثروة فكرية، وقد أشرت الى هذه الظاهرة في أحاديث كثر متلونة الجوانب متعددة الصور ولكني أحس وأبصر بتباشير ولدت في أفق حياتنا الجديدة تبشر بمستقبل وعناية بحث عن مفكري القطيف،فهذا الشباب السعودي والشابات السعوديات قد كتبوا ألواناً من البحوث وإن كانت لم تغط كل التغطية المساحة الفكرية والتاريخية إلا أنها تبشر بمستقبل سعيد وفجر جديد.

أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (٣ ١) ٩٦٦ +

القطيف - شارع القدس

ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com



دار روافد

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

ت: ٧١/٨٦٨٩٨٠

darrawafed@yahoo.com

ISBN 978-614-426-853-7

